قصص لم يكتبها بـو

قصص لم يكتبها بو

" مجموعة قصصية "

اسم الكاتب: حسني الجهيني
تدقيق لغوي: عبدالله أسامه
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: ١٣٤٨٧ / ٢٠١٨
طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

قصص لم يكتبها بو

حسني الجهيني

إهداء

ربّما تكون كتابة الإهداء بالنسبة لبعض الأشخاص أصعب من كتابة العمل نفسه..

إذ يقف البعض حائرًا حول من يدين له بالفضل حتّى يُهدي إليه مجهود ذهنه و أيّامه المضنية..

ولكن في حالتي هذه لن أرهق نفسي طويلًا..

لأنّ هناك شخصيّة رئيسيّة

كان لها التأثير الأكبر في حياتي

والفضل

-من بعد الله (سبحانه وتعالى)-

في حبي الشخصي للقراءة..

إلى روح:

الدكتور/ أحمد خالد توفيق

(رحمه الله)

أهدي إليك هذا الكتاب.

شكر خاص

- إلى أبي العزيز وأمي الغالية.. فلولاكما ما كان هذا العمل سيرى النور.
- إلى أخي الحبيب (حسام) الذي وثق بي وبموهبتي والذي كان له نصيب الأسد في كم كبير من الاستشارات حول جودة هذا العمل، والذي طلب مني في النهاية ترك الحكم للقارئ.
- إلى بائع الصحف (رحمه الله)، الذي كان يفترش الرصيف في بلدتي ببعض كُتيِّبات الجيب فاتحًا باب الاستعارة لكنوزه مقابل (ربع جنيه)، والذي كان المعنى الحقيقي لمشروع القراءة للجميع حينها.
- إلى أصدقائي في فريق صرخة فزع، أخوتي ومنارات طريقي الأدبي دائمًا أدامكم الله عونًا لي.
- إلى جروب ساحر الكتب، أعضائه وكتّابه، ذلك الصرح الأدبي الذي أصبح لا يمكن الاستغناء عنه طالما ظلت هناك أُمةٌ تقرأ.
- وأخيرًا إلى دار المكتبة العربية والقائمين عليها، وعلى رأسهم الجنرال الأخير "جمال عبد الرحيم".

تاريخ البشريّة يعجُّ بالكثير من الحكايات الحقيقيّة المرعبة،
التي لو قارنتها بقصص المسوخ والغيلان
لبدت لكَ تلك الأخيرة كائنات لطيفة ووديعة
توشك أن تُقبّلها عشقًا.

ڤيرونيكا

"(برادو) لقد اشتقتُ إليكَ كثيرًا أيّها القاسي"

صاحت به (ڤيرونيكا) وهي ترتمي داخل أحضانه ثُمّ لثمت شفتيه في قبلةٍ طويلةٍ ساخنة، قبل أن تتلفّت حولها وهي تسأله بصوتٍ حانٍ هامس:

- "هل هناك أحدٌ بصحبتك في المنزل؟".

هز (برادو) رأسه نافيًا في صمتٍ لتطوّقه الفتاة مرّةً أخرى بذراعيها وهي تلثم وجنتيه في اشتياق، لم يحاول (برادو) أن يبادلها إيّاه ودفعها في هدوءٍ بعيدًا عنه لتقول الفتاة في استغراب:

- (برادو) ماذا بك؟

اتّجه الرجل إلى مقعدٍ قريب جالسًا عليه وهو يتطلّع إلى (ڤيرونيكا) التي بدت فاتنةً كـ(ڤينوس) في تلك الليلة بشعرها الذهبيّ المتعرّج وعينيها الزرقاوين في لون سماء الصيف الصافية، وشفتيها اللتين في لون الكرز، وقد ارتدت فستانًا أسودَ قصيرًا عاري الكتفين، قد أضاف على بياض جسدها جمالًا وبهاء. تطلّع إليها في صمتٍ ثُمّ نَكَّسَ رأسه إلى الأسفل فاقتربتْ الفتاة لتجلس أسفل مقعده وهي تربت عليه في حنو وتسأله:

- ماذا بك؟ ألستُ حبيبتك؟!

نظر إليها (برادو) في حزنٍ وقد لمعت عيناه بلمعةٍ غريبة، ثُمّ زفر قائلًا في أسى:

- وهذه هي المشكلة.

هتفت الفتاة في استنكارٍ وقد عقدت حاجبيها:

- مشكلة!

أمسك (برادو) بكفها، ثُمّ نظر إليها في حزنٍ وقال:

- نعم مشكلة، أحيانًا أسأل نفسي إلى متى سنظل نسترق لقاءاتنا معًا، ننتظر الفرصة السانحة لنتقابل، الفرصة التي لا تأتي إلّا كلّ حين وحين، أعترف أنّي أحبك، وذلك ما يُصعِّب عليَّ الأمر أكثر، إن تلك الفترة التي أكون فيها وحيدًا منتظرًا لقاءك أكون فيها إنسانًا مُعَذّبًا مُشارفًا على الموت.

لثمت (فيرونيكا) يديه، وقالت برقّةٍ في محاولةٍ للتخفيف عنه:

- لتنسَ الأمر قليلًا، أنا معك الآن.

زفر (برادو) في ضيق وقال:

- وبعدها سنفترق، ثُمّ نلتقي، ثُمّ نفترق، يا له من عذاب! أنا لا تعجبني هذه الحياة وحتّى زوجتي بدأت تَشكُّ في الأمر، زوجتي التي أصبحتُ لا أطيق النظر إلى وجهها منذ أن وقعت عيناي عليكِ، لو عرفتكِ قبل الزواج لكنتُ ارتبطت بكِ بدون أدنى شكّ، ولكنّي الآن في أمر واقع، وطائفتنا تحرّم الانفصال عن الزوجة، مبدأ التأبيد صارم في هذا، إنّها معضلة ولا يوجد لها حلّ.

أطرقت الفتاة تفكّر لدقائق ثُمّ انتفضت فجأةً هاتفة:

- لقد وجدتُ الحلّ.

هتف (برادو) في لهفة:

- ما هو؟!

أجابت الفتاة في حماس:

- طائفتنا تبيح الزواج مرّةً أخرى في حالةٍ واحدة، أتعرف ما هي؟ إنّها الموت، بموت زوجتك يمكنك الزواج مرّةً أخرى.

سألها في حذر:

- أتقصدين...

هتفت الفتاة وقد حافظت على حماسها:

- نعم سنقتلها، سنقتل زوجتك، لا تقلق سأساعدك في أيّ شيءٍ تحتاجه. ثُمّ ألستَ كاتبًا بارعًا ذائع الصيت؟ أعتقد أنّك ستستطيع أن تصنع سيناريو مدروسًا لجريمةٍ كاملة.

همس الرجل في حيرة:

- ولكن...

قاطعته (ڤيرونيكا) في حدّة:

- من غير لكن، ألستَ تحبني؟ ستقتل زوجتك وسنتزوّج رغم أنف الجميع.

*****

كانت الخطّة التي رسمها (برادو) تتلخّص في الآتي: أن يقوم هو بقطع الكهرباء عن المنزل، و أثناء ذلك تكون (ڤيرونيكا) قد تسلّلت إلى الداخل بعد أن تكون قد نبّهت (برادو) عن وصولها عن طريق إشارةٍ تطلقها من مصباحٍ كهربائيّ، ليترك لها الباب مفتوحًا ومن ثَمّ تتسلّل هي إلى داخل المنزل طاعنةً (إليزابيث) زوجته وهي نائمة، وبعدها يبقى دور موهبة التمثيل لديه، حيث

سيبكي ويولول أمام الشرطة، ويزعم أنّه كان هناك لصٌّ بالمنزل بغرض السرقة، وعندما فاجأته (إليزابيث) المسكينة بوجودها، قتلها بدمٍ بارد.

خدعةٌ محكمةٌ للغاية، ومرتّبٌ لها لأبعد الحدود، وعلى سبيل الاحتياط طلب من (ڤيرونيكا) أن تقوم بمهمة القتل، حتّى إذا استيقظت (إليزابيث) وهمَّت بالصراخ، تهرب (ڤيرونيكا) مسرعةً وبالطبع لن تتعرّف عليها (إليزابيث) لأنّها لم تقابلها من قبل، وزيادة في المصداقية ستسرق (ڤيرونيكا) بعض المشغولات الذهبيّة الخاصّة بالزوجة لكي يقتنع الجميع أنّها جريمة سرقة. تلك ستكون الخطّة، وتلك ستكون الجريمة الوحيدة الكاملة.

*****

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. الفيلا غارقة في ظلامٍ دامس، لا يبدّد سواده شيء، الزوجة غارقة في سباتٍ عميقٍ كالأطفال، في حين كان (برادو) جالسًا في الدور الأرضيّ يدخّن لفافة تبغ ناظرًا إلى النافذة من حين لآخر منتظرًا الإشارة. شرد تفكيره لدقائق ليسطع بعدها ذلك النور في وجهه مُعيدًا إليه انتباهه، اتّجه إلى النافذة في سرعة ونظر من خلالها، فشاهد (ڤيرونيكا) الواقفة على مسافة من الفيلا، ترسل إليه الضوء المتقطّع. هرول نحو الباب فاتحًا إيّاه فأسرعت (ڤيرونيكا) بالتقدّم داخل الفيلا وهي تتلفّت حولها قلقة، سألته هامسة:

- هل نامت؟

أجابها بنفس الصوت الخافت وهو يبتسم:

- كالأطفال.

ابتسمت (ڤيرونيكا) بدورها، وهمَّ (برادو) بقنص قبلة منها لولا أن تمنّعت هي عنه هامسة:

- "ليس الآن، سنقتلها أوّلًا وسأغدو ملكك للأبد"

أومأ لها (برادو) مبتسمًا، وأسرعا بعدها صاعدين للدور العلوي، ودخلت هي الغرفة في حين انتظرها (برادو) عند الباب يراقب الموقف وصدره يعلو وينخفض في قوّةٍ من شدّة الخوف.

ألقت (ڤيرونيكا) نظرةً قلقةً نحو (برادو)، إلّا أنّه أشار إليها أن تسرع في القيام بالأمر، فالتقطت إحدى الوسائد جاثمة بها على أنفاس (إليزابيث) النائمة لتستيقظ مفزوعةً وهي تحاول جاهدةً أن تقاوم يدي (ڤيرونيكا) الضاغطتين بكل ما أوتيت من قوّةٍ خامشةً يد (ڤيرونيكا) بأظافرها على نحو أصاب الأخيرة بالغضب، فلجأت إلى الخطّة البديلة المتّفقة عليها مُسبقًا، وهي طعنها بالسكّين.

بعد أن خمدت أنفاس (إليزابيث) وتأكّدت (ڤيرونيكا) من موتها، خرجت الأخيرة من الغرفة ببطء، فسألها (برادو) في حذر:

- هل نجحتِ؟

ابتسمت (ڤيرونيكا) قائلة:

- "نعم وسأغادر الآن لتستكمل باقي الخطّة".

هزّ (برادو) رأسه إيجابًا، وهو يتابع (ڤيرونيكا) وهي تبتعد عن نطاق الفيلا من خلال النافذة حتّى تأكّد أنّها في نطاقٍ آمنٍ ولم يشاهدها أحد.

وبدأ في الصراخ بقوّة، صراخ رجل مسكين مكلوم على زوجته.

كان رجال البحث الجنائيّ منتشرين داخل الفيلا يجمعون الأدلة، في حين وقف (برادو) يراقبهم متظاهرًا بالحزن وهو يطلق صيحةً تمثيليّةً باسم زوجته بين الحين والآخر ليحبك الأمر ويشتّت رجال الشرطة عن عملهم، إلّا أنّ رئيسهم اتّجه نحوه سائلًا:

- أين كنت يا سيّد (برادو) وقت وقوع الجريمة؟

أجاب (برادو) في هدوء:

- كنت أقوم بتشغيل مولّد الكهرباء، لقد انقطعت لمدّةٍ طويلةٍ وعندما سئمت من عودتها، ذهبت لتشغيله.

أمسك المفتّش قلمه وبدأ في تدوين بعض النقاط في مفكّرةٍ وعاد ليسأله:

- جميل جدًّا، وكيف تفسّر دخول شخصٍ منزلك ليلًا دون وجود أيّ دليلٍ على اقتحام المنزل عنوة؟!

ارتبك (برادو) بشدّةٍ إلّا أنّه حاول التظاهر بالهدوء قائلًا:

- صدّقني لست أعرف.

ردّ عليه المفتّش في شكّ:

- احتمال عدم علمك وارد للغاية!

ثُمّ أردف وهو يزيح جزءًا من كمّ قميص (برادو) لأعلى هاتفًا:

- وهل يمكنك أن تفسّر أيضًا سبب حدوث هذه الخدوش على ذراعك سيّد (برادو)؟!

شعر (برادو) بالحيرة، وهو لا يتذكّر كيف حدثت تلك الخدوش على يده، وهتف:

- إنّه القط يا سيّدي.

ردّ عليه المفتش في لهجة مستفزّة:

- القط؟! ربّما، ولكن أين هو ذلك القط يا سيّد (برادو)؟!

ثُمّ أردف بنفس اللهجة:

- وهل القط هو من يترك بقايا من جلد ذراعك تحت أظافر زوجتك القتيلة؟!

شعر (برادو) بالحيرة والخوف معًا هذه المرّة من غرابة الأمر وصعوبة التفسير، فاستطرد المفتّش كلامه مستغلًّا حيرة الرجل وقال:

- وما قولك عن ذلك السكّين الموضوع بإهمال داخل المطبخ والذي يحمل بصماتك، ما تفسير ذلك أيضًا يا سيّد (برادو)؟!

ردّ (برادو) وهو يرتجف:

- إنّني لم أقصد...

أكمل المفتّش:

- قتلها، أليس كذلك؟

هزّ الرجل رأسه وصاح:

- لست أنا، إنّها (ڤيرونيكا).

سأله المفتّش في استفهام:

- و أين هي (ڤيرونيكا) تلك؟ و أين تقطن؟

أجاب الرجل في شرود:

- لستُ أدري يا سيّدي، صدّقني.. لستُ أدري.

هتف به المفتّش:

- أنت متهم سيّد (برادو) بقتل زوجتك قتلًا عمدًا، لكَ الحق في الصمت، ولكَ الحق في أن توكّل محاميًا لك.

آثر (برادو) الالتزام بالصمت، وأشار المفتّش إلى رجاله بقيادته إلى مركز الشرطة لاستكمال التحقيقات هناك، فنفّذ رجاله الأمر على الفور بعد أن كبلوا يدي (برادو) من الخلف مقتادين إيّاه إلى الخارج وهو صامت، وما إن جلس داخل سيّارة الشرطة حتّى صاح بصوت عالٍ مذبوح..

وبأعلى قوّة..

باسم (فيرونيكا).

*****

سأل أحد الضّبّاط المفتّش الذي راح يراقب (برادو) الجالس على كرسي التحقيقات من خلال الحاجز الزجاجي:

- هل أنت مقتنع بما قاله عن تلك المدعوة (فيرونيكا) يا سيّدي؟!

هزّ المفتّش رأسه نافيًا وقال:

- بالطبع لا، المشكلة أنّي لا أعرف إن كان هذا الرجل مجنونًا فعلًا أو يدّعي الجنون من أجل أن ينجو بفعلته، الرجل يزعم أنّ هناك فتاةً يحبها تدعى (فيرونيكا) وهي التي قامت بجريمة القتل، المشكلة أنّه لا وجود لـ(فيرونيكا) تلك إطلاقًا، وحتّى الصورة التي أرانا الرجل إياها لـ(فيرونيكا)

كانت صورة لفتاة على غلاف رو ايته المرسومة بيد فنان فرنسي شهير من العقد الماضي، وبمطالعة مسودات ما يكتبه والرو اية التي كانت مفتوحة على مصراعيها على مكتبه، اكتشفت أنّ مواصفات الفتاة التي تحدّث عنها تتطابق مع بطلة الرو اية.

هتف الضّابط في دهشة:

- أتعني سيّدي أن...

أومأ المفتّش برأسه وقال في هدوء:

- نعم، أعني أنّ الرجل هام عشقًا بشخصيّة خياليّة في رو اية وتلك الفتاة تسبّبت في ارتكاب جريمة قتل رجلٍ لزوجته لتكون أوّل جريمة قتل تكون مرتكبتها بطلة رو اية.

الغزو

"ألم يكن من المفترض اختيار أجسادٍ تليق بنا، خيرًا من هذه الأجساد الهشّة المهينة؟!"

قالها الضّابط لقائده وهو يجول في ذلك المختبر الخاضع لهيئة الأبحاث العلمية المصريّة..

عندها ردّ عليه القائد في لهجةٍ حازمةٍ:

- غبي.. إنّك لا تعرف مدى عبقريّة هذه الخطّة، احتلال العالم بجيش من النمل، لن يتوقّعوا ذلك مطلقًا.

- أنا من قُمت بعرضها على زعيم كوكبِنا ولاقت الفكرة رواجًا كبيرًا في البلاط الملكي، بفضل أجسادنا السيتوبلازمية، يمكننا التشكّل في أيّ صورة، نأخذ نفس صفات الجسد المضيف، خصائصه، لن يشكّ فينا سكّان ذلك الكوكب مطلقًا.

تخيَّل مليارات الجنود المحاربة من النمل بتشكيلات منظّمة، سنسيطر على العالم أجمع.

هؤلاء البشر برغم كلّ التطوّر الذي هم فيه ضعفاء، مجرّد حشرات صغيرة سترعبهم، فكّر في الأمر، لو أنَّ نملة واحدة دخلت أذن أحدهم، سيصيبه الجنون حتمًا.

فما بالك بجيشٍ من النمل، لا احتمالية للإخفاق في هذه الخطّة.

لن يتوقّعوا من أين سيهاجمونهم، من تحت الأرض، من بين شقوق الجدران، الأمر سهل، والموضوع لن يستغرقَ إلّا أيّامًا معدودة وسنسيطر على الكوكب بأكمله.

سأله الضّابط وهو يتطلّع إلى أجهزة المختبر عالية التقنية:

- ولكن كيف سنتواصل مع أولئك النمل؟! ومن قال أنّهم سيخضعون لنا أصلًا؟

أجاب القائد وهو يجول حولَ نفسه بعصبيّة:

- طوال آلاف السنين.. كان علماؤنا يدرسون تاريخ هذا الكوكب، فهِموا طبيعة الجنس البشريّ، ودرسوا كلَّ شيءٍ حول الحيوانات والحشرات، الطيور وحتّى الأحياء الدقيقة التي تعيش فيه.

البشر أنفسهم يعلمون أنّ للنمل لغة، حتّى كتبهم السماويّة تتحدَّثُ عن ذلك، أنت قرأت القصة التي أريتك إياها في كتاب علم التاريخ البشريّ لدينا، حول تلك النملة التي خاطبت نبيهم (سليمان)، المشكلة أن أغلبهم تجاهلوا الفكرة، ما عدا علماءهم الذين حاولوا دراسة هذه اللغة ولكن جميع تجاربهم باءت بالفشل، بفضل علمائنا وأجهزتنا الدقيقة تمكّنّا من ابتكار وسيلةٍ خاصةٍ تمكّننا من التحكّم فيهم، موجات خاصّة تسلبهم إرادتهم، تشبه تلك الموجات التي يستخدمها النمل في التخاطب.

قاطعه الضّابط قائلًا:

- ولكنّك لم تجب عن سؤالي.. وما أدراك أن النمل سيطيع الأوامر وسيستجيب للخطّة؟!

ردّ القائد:

- لهذا اخترتك أنتَ لمرافقتي في تلك المهمة، إننا استطعنا إقناع الزعيم والبلاط بأكمله، هل سنفشل في قيادة مجموعةٍ من النمل؟! ثُمّ إنّك لم تلاحظ الجسدين اللذين اخترناهما، إنهما جسدان لملكتي نمل، سيسهّل علينا هذا المهمة.

قال الضّابط وقد نما شعور الاطمئنان لديه:

- وماذا بعد؟! مضى أسبوع ونحن في هذا المختبر، راقبنا الكثير من البشر، وراجعنا سجلّاتهم العلميّة الضخمة، هل سنبدأ التنفيذ الآن؟

أكّد القائد في حماس:

- نعم.. ساعة الصفر قد حانت.. وما هي إلّا أيّام وسيكون العالم كله ملكنا، سنتّجه إلى أقرب وادي نمل، عندها ستبدأ الأمور الهامة.

قالها واتّجه هو ومساعده نحو باب المختبر الضخم ذاهبين إلى وادي النمل الذي حدّدته أجهزتهم غير عابئين بعامل النظافة الذي بدأ توًّا دوامه الصباحي وهو يسحقهم بقدمه قائلًا بعفويّة:

- نمل لعين.. كيف تسلّل نمل إلى هذا المختبر الفخم؟! ينبغي أن نغيّر شركة الرش تلك!

غير عالم أنّه قد أنهى توًّا خطّة غزو، وحربًا كان العالم سيعاني من ويلاتها إلى الأبد!

رسائل

٢٧ مارس ٢٠١٥

ابني الحبيب:

لم أكن أتوقّع يومًا أن علاقتنا معًا ستتدهور إلى هذا الحدّ، تخيّل اثنين يعيشان في منزلٍ واحدٍ ولا يتواصلان معًا إلّا ببعض الرسائل المكتوبة ومن طرفٍ واحد، أيّ علاقة أسرية في ذلك، ألا لعنة الله على كلّ النساء اللاتي يأسرن قلوب الرجال فيصبحون أضن الناس حتّى مع ذوات أرحامهم.

أكل هذا بسبب تلك البلهاء؟! تغضبك هذه الكلمة، تحب أن أناديها باسمها، حسنًا (علياء) إن كان هذا يعجبك، أكل هذا من أجلها؟! تزوجتها رغمًا عني ورضيت بذلك واكتنفتكما أنتما الاثنين في شقّتي، ويعلم الله أن ذلك كان أحب الأمور إلى قلبي حتّى لا تفارق عينيَّ طوال العمر، ولكنّي لم أعهدك مطلقًا ابنًا جاحدًا، منذ أن دخلت تلك الـ(علياء) إلى منزلنا وتغيّرت كثيرًا، أصبحتَ تتجنبني خوفًا من غيرتها عليك، منذ متى صارت زوجة الابن تغار من حماتها! تلك الغبية لو شعرت بطلقة واحدة من طلقات ولادتي لك لنحتت لي في غرفتي التي احتللتماها عنوةً فصارت غرفة نومكما تمثالًا، على كلّ حال لا يفيد البكاء على الحليب المسكوب، بالمناسبة تركت لكَ طعامًا على الطاولة، أعلم أنّك جائع، أرجو أن يعجبك وألّا تكون شهيتك نحو طعامي قد تغيّرت بعد كرهك لي، عمومًا لن أرهق عينيك اليوم أكثر من ذلك في قراءة رسائلي، لتتناول طعامك وغدًا لي لكَ رسالة جديدة.

٢٨ مارس ٢٠١٥

ابني الحبيب:

عندما استيقظت في الصباح وجدت أنّك لم تقرب الطعام الذي أعددته لكَ البارحة إطلاقًا، ماذا دهاك أيّها التعس؟! ماذا دهاك يا فلذة كبدي وآخر صبري؟! ثُمّ ألا تنظر لنفسك في مرآة.. لقد فقد وجهك نضارته، وجف ريحان شبابك، ثُمّ ما هذه الرائحة العفنة التي تفوح منك؟! منذ متى لم تستحم؟! أعتقد أنّه منذ مشاجرتنا الأخيرة معًا، ثُمّ إنّني أخبرتك أكثر من مرّة أنّي لا أرتاح إليها، طريقة كلامها ومظهرها وما ترتديه يذكّرني بالعاهرات، أعرف أنكَ لم ترتد ملهًى ليليًّا من قبل، ولا أنا بالطبع ولكنّي أشاهدهم في الأفلام، لو ذهبت ستجد أمثالها كثر هناك، لِمَ تنظر لي تلك النظرة الباردة؟ لم تعد سني ولا عقلي يحتمل مثل هذه النظرات، إن كانت مغادرة المنزل يا بني حلًّا فسأغادر، ولكن من سيهتم بكَ أيّها المسكين؟! تنظر لي مرّةً أخرى تلك النظرة، حسنًا أنا ذاهبة للخارج الآن، بالمناسبة تركت لكَ ملابس نظيفة على سريرك وطعامًا ساخنًا.. خذ حمّامًا وكُل، إذا ظللت على هذا النحو فستتحوّل إلى هيكل عظمي في أيّام معدودات.

****

٢٩ مارس ٢٠١٥

ابني الوحيد (عماد):

لم أعد أطيق صبرًا بتدليلك على هذا النحو، أنتَ لست طفلًا صغيرًا، حتّى الأطفال الصغار لا يفعلون ما تفعله، ثُمّ إن الحياة لا تتوقّف على أنثى، أعترف أنّي كنت متسرّعة فيما فعلته معها، ولكنّي لم أقبل أن يطعن خنجر الخيانة في ظهرك، أكثر من مرّة أخبرتك أنّها سيئة السلوك.. وأكثر من مرّة أخبرتني أنّي أغار منها، أعترف بهذا.. نعم أغار.. ولكن أغار عليك وليس منها، أغار على كرامتك ورجولتك، تلك الفتاة استغلّت غيابك أكثر من مرّة لتدنس اسمك الذي تحمله في الوحل..

سَمِعت أذناي أكثر من مرّة مكالماتها الساخنة مع رجال ولم أخبرك خوفًا من أن تتّهمني بالكذب، لقد أعماك حبك لها فلم تعد ترى شيئًا.. كنت أتصنّع أنّي لم أسمع شيئًا وأكتفي بمحاولة التلميح لكَ من بعيد.. ولكن في هذا اليوم وأثناء سفرك، استغلّت ستر الليل وأحضرت رجلًا إلى مخدعك.. نعم أحضرت رجلًا.. كنت أنا في غرفتي حينها، عندما سمعت تأوهاتهما معًا.. تأوهات نشوة أنثى وشبق رجل.. حاولت أن أصك سمعي عن صوتهما ولكنّي لم أستطع.. كان لا بدّ من أحدٍ يردّ غيبتك وينتقم لشرفك.. كان لا بدّ من التخلّص منهما.. أحضرت مسدّس والدك (رحمه الله) وقتلتهما في حين كانت هي تأتي برعشتها الأخيرة..

ها قد عرفت الحقيقة كاملة.. سامحني.. وحتّى إن لم تفعل فأنا راضية عمّا فعلته.. لست مذنبة ولا مخطئة، وحتّى إن كنت كذلك لا يهم، لأنّ هذه رسالتي الأخيرة.

****

- "البشر هذه الأيّام قد أصابهم الجنون فعلًا (أدهم) بك"..

قالها الملازم الشاب لرئيس المباحث الذي كان منهمكًا في فحص تلك الجثث الأربعة التي أبلغ الجيران عنها بعد أن فاحت رائحتها النتنة من تلك الشّقّة وملأت أرجاء تلك البناية الكائنة بالمعادي..

في حين ردّ رئيس المباحث وهو ينزع أحد المفارش ليغطي بها إحدى الجثث قائلًا:

- بل على العكس.. إن ما حدث هو الأقرب للعقلانيّة من الجنون.. لاحظ يا صديقي أنّنا في مجتمع شرقي، ومهما وصلنا من التقدّم والتحضّر ما زالت فينا بذرة النخوة.. حقيقةً إنّني أشعر بالأسى تجاه تلك الأم.. إنّها تستحق لقب الأم المثالية وبكل جدارة..

الغريب أنّها بالإضافة إلى قتل زوجة ابنها وعشيقها فقد قتلت ابنها.. ربّما كانت تخاف أن يصدر ضدها حكمًا بالإعدام فتفترق عنه، ففكّرت أن تصطحبه معها إلى مستقرها الأخير..

هتف الملازم الشاب مستنكرًا:

- ولكن لِمَ كتبت كلّ هذه الرسائل؟!

ردّ عليه رئيس المباحث وهو يتطلّع إلى تلك الأوراق الأربعة التي استخرجها من فم الابن القتيل:

- لاحظ يا صديقي أن تلك المرأة عاشت مع تلك الجثث لعدّة أيّام، قبل أن تنتحر في النهاية تاركةً لنا رسالة أخيرة فيها اعتراف بانتحارها وقتلها للعشيقين و ابنها.. تخيّل أنت أن ترى -لا قدّر الله- ابنك وفلذة كبدك يتحلّل ببطء أمام عينيك مع علمك أنّك السبب في موته، ماذا ستفعل؟!

إن هذه المرأة قويّة وشجاعة لأنّها استطاعت أن تتحمّل تلك الأيّام الأربعة قبل أن تنتحر في النهاية.. لو كنت مكانها لقتلت نفسي من أوّل يوم.

سأله الملازم في استفهام:

- إذًا أنغلق القضية يا سيّدي؟!

أجاب رئيس المباحث وهو يحاول بصعوبة رسم ابتسامة على وجهه:

- لا توجد قضية من الأساس يا صديقي.. إنّ هذه الجريمة تفتقر لركن أساسي وجوهري من أركانها ألا وهو ركن مرتكب الجريمة.. منذ متى كان القانون يحاسب الأموات!

أومأ الملازم برأسه وانهمك بعدها في بعض الأعمال تمهيدًا لإرسال الجثث إلى الطب الشرعي، في حين وقف رئيس المباحث شاردًا مديرًا ظهره للجميع وهو يتطلّع من خلال تلك النافذة نحو الشارع محاولًا كتم دمعة حبيسة تطالب بالخروج من مكمنها وقد لمست فيه تلك القضية أرقّ أوتار الرجولة..

الشرف..

انتقام

- كيف نجوتِ؟! لقد تأكّدتُ بنفسي من موتك!

قالها الرجل في ذعر وهو ينظر إلى تلك الفتاة التي تحدّق في اتّجاهه من الممر المؤدي إلى غرفة النوم..

كانت ملامحها مخيفة، الرأس تسيل منه الدماء بغزارة لتلطّخ ثوبها الأبيض المُتّرب، بعض الكدمات الزرقاء واضحة على ذراعيها العاريين، نصل سكّين يلمع تحت تأثير الإضاءة الخافتة للغرفة يصف للرجل الكارثة التي ستحدث بعد ذلك..

تردّ الفتاة عليه وهي تواصل التحديق باتّجاهه راسمةً ابتسامة مخيفة على وجهها:

- ومن قال أنّي نجوت.. تعلم أنّكَ تأكّدتَ جيّدًا من فراقي للحياة.. حقيقة لقد نفّذت دوركَ بمنتهى الدقة، تبقّى دوري أنا فقط في الانتقام.

ازدرد الرجل لعابه في خوف وهو يتراجع للخلف قائلًا:

- الرحمة.. إنّني لم أقصد قتلكِ.. كان ذلك تحت تأثير المخدّر الذي تعاطيناه معًا.. تعلمين أنّني لم أكن في وعيي حينها.. لذلك حدث ما حدث.

تجاهلت الفتاة ردّه.. وأخذت تجول بعينيها في أرجاء الغرفة، مطيلةً النظر إلى تلك الستارة الزرقاء المزيّن بها جدار الغرفة وهي تبتسم.. متذكّرةً أن تلك الستارة كانت هديتها له ليزيّن بها شقّته.

ثُمّ نظرت للرجل مرّةً أخرى قائلة:

- كاذب.. ما أنت إلّا وغد حقير كاذب.. أعلم أنّك كنت في كامل وعيك و أنت تقتلني.. فهمت ذلك في نظراتك.. فهمت هذا من إصرارك على إشراكي معك في الشرب، مع علمك أنّني لا أتعاطى أيّ نوع من المخدّر إطلاقًا، كنت في حاجة إلى فتاة عاجزة عن المقاومة، فتاة تستطيع أن تقتلها في صمتٍ دون أن ينكشف أمرك..

كلّ هذا بسبب المال.. لقد أقنعتني أن أبيع تلك الشّقّة التي أملكها بحجّة أنكَ لا تملك نقودًا لتجهيز شقّتك للزواج مني.. وعندما سألتك عن النقود.. كنت تصطنع لي حججًا تافهة.. وبعدما هدّدتك بأنّي سأفضح أمرك.. أعددت خطّتك، وكان الأمر.

ثُمّ أردفت الفتاة قائلة:

- الحقيقة أن الجريمة تمّت بمنتهى الدقة.. ولكن شيئًا واحدًا غاب عن ذهنك.

ردّ الرجل وهو يقترب متقدّمًا نحو الفتاة:

- ما هو ذلك الشيء؟!

أشارت الفتاة بإصبعها إلى مدفأة قريبة فاشتعلت بالنيران ثُمّ هتفت وهي تحدّجه بنظرة غاضبة:

- لو تقدّمت خطوة أخرى.. سأحيل تلك الشّقّة اللعينة إلى فرن كبير.

ثُمّ أردفت قائلةً بهدوء مخيف:

- الأمر الذي غاب عن ذهنك هو الانتقام.. احتمالية العودة.. الآن لن أتركك إلّا و أنت تعوي ككلب جريح..

تراجع الرجل للخلف وهو يرتعد قائلًا:

- إنّني أطلب منك الرحمة.. ليت بيدي شيئًا أصلح به الأمر..

قالت الفتاة وهي تتقدّم نحوه بانسيابية:

- الرحمة ليس من صفاتنا.. منذ متى كان الموتى يملكون الرحمة.. ستكون أنيسًا جيّدًا لي في أرض الرماد.. عندها ستستطيع التوسّل لي إلى الأبد..

الآن كلّ ما ستفعله أنّك ستتّصل بالشرطة وستخبرهم بجريمتك..

لا يوجد لديك خيار آخر..

لا احتمالية للفرار مني..

سألاحقك حتّى في الجحيم..

التقط الرجل سماعة الهاتف بيد مهتزة متّصلًا بالشرطة مخبرهم الأمر.. وما هي إلّا بضع دقائق وكانت الشرطة تملأ الشّقّة مخرجة أدلة الجريمة كاملة.. مصطحبة معها الرجل الذي كان يرتعد في خوف.. وهو يتذكّر تلك الضحكات المخيفة للفتاة وآخر كلماتها قبل أن ترحل:

- ستندم..

****

صباح اليوم التالي..

وقف (محمود) أمام شاهد ذلك القبر وهو يقرأ الفاتحة منتظرًا قدوم صديقته (سارة)..

وما هي إلّا لحظات.. وشاهدها تتقدّم نحوه بخطوات مسرعة متّشحة بالسواد مرتدية نظارة سوداء تضفي عليها جاذبية أنثوية لا بأس بها..

قال لها مبتسمًا:

- أعتقد أن نيران الثأر المتأجّجة داخلك قد خمدت الآن..

ردّت وهي تنزع تلك النظارة لتكشف عن عينين فيروزيتين من نوعٍ خاصّ:

- كانت خطّةً محكمةً بالفعل.. يعتقد الغبي أنّه سينجو بفعلته.. لم يكن يعلم أن (هيام) تملك توأمًا لها.. أنت تعرف أن العامة لا يستطيعون تمييز بعضنا عن بعض.. قليل من الماكياج وأكياس الدماء كانت كافيةً لإضافة لمسة رعب حبكت الموقف.. الإضاءة الخافتة ساعدتنا في عدم كشف الأمر، كان لا بدّ لي من صحبة.. لهذا طلبت منك الذهاب معي.. كنت سأنفجر ضاحكةً و أنا أشاهدك تطل برأسك من خلف تلك الستارة الزرقاء ولكنّني اكتفيت بالابتسام..

قال لها (محمود) وهو ينفجر ضاحكًا:

- أنتِ ممثلة بارعة.. لو استمررت أكثر من ذلك في الحديث معه لأصابته أزمة قلبيّة.. ولكن هدفنا لم يكن قتله.. كلّ ما كنا نريده هو أن يعترف بجريمته لتناله يد العدالة..

ثُمّ أردف سائلًا إيّاها:

- ما الذي تنوين فعله بعد ذلك؟

ردّت الفتاة وهي تشبع صدرها بالهواء قائلة:

- لا شيء.. الآن ترقد أختي بسلام.. فقط كلّ ما أحتاجه الآن هو النوم..

قالتها والتقطت حقيبتها من على الأرض وصافحت (محمود) مودّعةً إيّاه ثُمّ أدارت ظهرها له مغادرةً المكان..

في حين وقف الأخير يراقب خطواتها البطيئة.. ولكنّه تذكّر أمرًا هامًا فسألها:

- (سارة).. الخدعة كان محبوكة بالفعل..

ولكن عندي سؤال..

كيف أشعلتِ تلك المدفأة بإشارة من أصبعك؟!

تلك الحركة لم نخطّط لها في الخدعة..

ابتسمت الفتاة متجاهلةً سؤال الشاب في حين أسرعت من خطواتها مرتديةً نظارتها السوداء لتخفي تَيْنِكَ العينين الفيروزيتين..

اللتين بدأتا تتأجّجان بالنيران..

ذكريات

"الساعة الثانية بعد منتصف الليل"..

تشهد المدينة موجة صقيع لم تشهدها من قبل، من النادر جدًّا أن تجد أحدًا مستيقظًا حتّى ذلك الوقت، الكل متدثّر في بياته الشتوي كدبٍّ ينتظر قدوم فصل الصيف، الكل كان غارقًا في سباتٍ في تلك الليلة، فالليل والبرد حين يجتمعان يلعبان مفعولًا أقوى من أيّ دواء منوّم قد يصفه طبيب.

نائم أنا في فراشي، تفشل الأغطية الثقيلة في تدفئة قدميّ، وأشعر بذلك الجسد الدافئ يتسلّل من أسفل الغطاء، تطبع قبلة حارة على وجنتي ثُمّ تهزني في رفق.

فأفتح عينيّ اللتين تعلنان عن حاجتهما إلى النوم في صعوبة، وأنا أشاهد تلك الطفلة ذات سبع السنوات بتلك المنامة البيضاء القصيرة، متكوّرةً حول نفسها، معانقةً جسدي بذراعيها مُحاولةً الحصول على أكبر قدر من الدفء، تقول لي بصوت مرتجف:

- حلمت الليلة بأمي، إنّي أفتقدها حقًا يا أبي.

أستدير لأنام على جانبي الأيمن وتسحبني حبال الذكريات بعيدًا وأتذكّر (غادة)..

تلك الفتاة الرقيقة التي تصلح أن تكون لكَ كلّ شيء، تملك ذلك الكَمّ من الحنان الذي لا تجده إلّا في والدتك، صاحبة الحديث الجاد عند الحاجة، والصديق الشهم، والطفلة خفيفة الظل.

أتذكّر ملامحها الطفولية وهي تقطب حاجبيها وتلك اللآلئ البلّوريّة تلمع في عينيها من أثر الدموع في اليوم الذي نسيت فيه ذكرى زواجنا.

أتذكّر أنّني ألقيت حينها عليها دعابةً فانفجرت ضاحكةً كالأطفال ناسيةً كلّ ما حدث، فقد كانت...

- أبي.. هل أمي تر انا الآن؟!

أتجاهل سؤالها وأنهض متّجهًا إلى الحمّام لغسيل وجهي، أنظر إلى المرآة وأشاهد الطفلة التي تبعتني إلى هناك لتنتظرني عند الباب، تشبهها كثيرًا، تملك نفس السواد في عينيها التي كانت تملكه والدتها، ونفس الشفاه التي في لون الفراولة الطازجة.

أنظر من النافذة للخارج فأشاهد القمر مكتملًا..

نفس قمر تلك الليلة المشئومة، كان المطر ينهمر بغزارة والأرض مبتلّة زلقة، صوت (أم كلثوم) يتصاعد عبر مذياع السّيّارة ليُتوّج تلك اللحظة، تهمس في أذني:

- أحبك.

أردّ عليها و أنا أشبك أصابعي بأصابعها:

- لِمَ تقولينها بكل هذا الحزن؟!

تجيبني وهي تحاول أن تخفي دمعةً انحدرت عفوًا من عينيها:

- لا شيء.. ولكنّي أخاف من الغد..

أهمُّ بالردّ عليها ولكنّي أفاجأ بتلك الشاحنة المسرعة التي لم يستطع سائقها السيطرة عليها وهي تتقدّم نحونا بلا هوادة، أحاول تفادي الموقف

مديرًا عجلة القيادة، فتدور السّيّارة دورةً كاملةً حول نفسها تحت تأثير الأرض المبتلّة وتصطدم بتلك التّبّة على جانب الطريق منقلبةً على أثر الحادث.

أقفل صنبور الحوض و أتوجّه إلى المطبخ فتتبعني الطفلة..

أفتح الموقد تمهيدًا لإعداد فنجان من القهوة بعد فشلي في النوم، فتخاطبني الطفلة:

- أبي.. أين ذهبت أمي؟!

أبحث عن علبة القهوة في دولاب المطبخ فلا أجدها، وتصطدم يدي بعلبة (الكاتشب) فتسقط أرضًا متحطّمة.

أجلب بعض الخرق القديمة لتنظيف الأرض ماسحًا بها بقايا (الكاتشب)، الشبيهة بالدم من على الأرضيّة.

أتذكّرها فاقدة الوعي، والسّيّارة منقلبة على جانب الطريق، أحاول فكّ حزام الأمان من على جسدي لإخراجها من السّيّارة، فأنجح بعد معاناة خصوصًا مع الوضع العكسي الذي اتّخذه جسدي.

أفكّ الحزام من عليها وأسحبها للخارج، وأضع أصبعي على عنقها ألتمس النبض، وجهها مليء بالدماء وجرح غائر في جانب رأسها ينزف بغزارة، أقترب بأذني من قلبها فلا أشعر بأي أثر للحياة إلّا من نبض خافت.

أتّجه بسرعةٍ إلى السّيّارة ناسيًا قدمي المهشّمة من جرّاء الحادث، وفي لهفة أبحث عن هاتفي فأجده في (التابلوه) كما هو لم يصبه شيء، أتّصل برقم الطوارئ السريع فيأتيني صوت الموظّف الرخيم الناعس:

- خدمة الطوارئ مع حضرتك.

أردّ عليه في لهفةٍ و أنا أرتجف:

- النجدة.. أريد النجدة وبسرعة، زوجتي تموت.

صوت صافرة إسعاف أسمعها في الخارج، تتّجه الطفلة للنظر إليها من إفريز الشرفة فأتبعها ببطء..

أتذكّر سيّارة الإسعاف وهي تنقلني أنا وزوجتي نحو أقرب مستشفى، بعض أجهزة التنفّس الاصطناعي تغطّي فمها، والوجه ما زال ينزف بالدماء، أمرر يديّ على شعرها و أتذكّر كم كانت تحب هذا، ولكنّها الآن خالية من أيّ شكل من أشكال الحياة.

أنتفض من سؤال ابنتي وهي تقول:

- أبي.. هل تحب والدتي حقًّا؟!

أهمّ بالإجابة ولكنّها تردف في لوم:

- إن كنت تحبها لِمَ لا تذهب إليها؟!

تختلط الأفكار في عقلي، المخ يعلن عن حاجته إلى النوم، بعض الهواجس تتردّد على ذهني وشبح فكرة يجول بخاطري..

أصعد ببطء على إفريز الشرفة و أنظر لأسفل لأرى الشارع الخالي من المارّة إلّا قليلًا..

ألقي بجسدي للأسفل، فاتحًا ذراعيّ مُرحّبًا بالجاذبية..

جميع الذكريات تمر بسرعة..

أتذكّر كم أنا أكره فصل الشتاء..

أتذكّر تلك الليلة المشئومة..

أتذكّر أجهزة المستشفى التي تعلن أن هناك مشكلة..

أتذكّر صوت ضحكات الطفلة و أنا أسقط للأسفل..

أتذكّر صوت الطبيب وهو يعلن لي وفاة زوجتي..

أتذكّر موت زوجتي وهي تحمل في أحشائها ابنتنا البكر..

تأثير الفراشة

فتح الرجل عينيه في بطء متطلّعًا حوله، وهو يشعر بالدوار، متسائلًا عن سبب وجوده هنا في ذلك المكان المخيف، الذي خلا تمامًا من الضوء إلّا من سراج في سقف الغرفة يبث نورًا واهنًا على بعض الموجودات من حوله، وأخذ يصيح بأعلى صوت لديه، وهو يحاول جاهدًا أن يعدل من وضع جسده العاري تمامًا من أيّ ملابس بسبب تلك الأغلال التي تطوّق أطرافه في ذلك الصندوق الخشبيّ الذي يرقد فيه.

صرخ مرّةً أخرى في قوّة على نحو مزّق سكون ومهابة الصمت من حوله، فسمع صوت قدمين تقتربان منه لم يلبث أن ظهر صاحبهما الذي كان شابًا في منتصف العشرينات، نحيل الجسم، يرتدي قميصًا وبنطالًا، وقد عقص شعره الطويل إلى الوراء، وراح يحدّق فيه في تشفٍّ وهو يمرّر يديه على أطراف الصندوق الأملس الذي يرقد فيه الرجل وهو يقول:

- أرى أنّك قد استيقظت يا صغيري، أرجو أن تكون قد نعمت بأحلامٍ سعيدة.

هتف الرجل في ذعر:

- من أنت؟! ولِمَ أنا هنا؟!

وضع الشاب أصبعه على فم الرجل فأسكته قائلًا في استهزاء:

- لسنا هنا في المدرسة لتطرح عليّ الأسئلة يا أستاذنا القدير، أنت الآن في حصتي أنا، وقد حان الوقت لتتعلّم الدرس جيّدًا.

قال الرجل محتجًّا وهو يرتجف:

- أيّ درس يا بني؟! لست أعرفك.. أقسم بالله أنّي لا أعرفك.

هتف الشاب في غضب وهو يشيح بيديه:

- هل كبرت إلى هذا الحدّ يا أستاذ (مراد)؟! هل كبرت إلى هذا الحدّ الذي يجعلك تنسى أخطاءك؟! أعترف أنّه قد مرّ خمسة عشر عامًا على لقائنا الأخير، ولكن ذلك ليس مبرّرًا كافيًا للنسيان.

عقد الأستاذ (مراد) حاجبيه وهتف في حدّة:

- ماذا تقصد؟!

أجاب الشاب وهو يدور حول نفسه في استعراض جنونيّ:

- أنا تلميذك (نائل) يا أستاذي المبجّل، تلميذك (نائل) الذي تسبّبت أنتَ باضطهادك له في فشله.

هتف الأستاذ مراد في ذعر محاولًا التذكّر:

- في أيّ مرحلة قد درست لكَ يا بني؟!

اشتعلت عينا (نائل) بالغضب وهو يهتف:

- الصف الأوّل الإعدادي، أعرفت الآن أنّك صرت مجرّد عجوز أجوف لا يتذكّر شيئًا.

نظر الأستاذ (مراد) للشاب وقال محاولًا التظاهر بالهدوء:

- ولكن يا بني ذلك كان منذ مدّة طويلة، أعتقد أنّني لا أملك كلّ هذا القدر من التأثير.

بدت أعصاب (نائل) ثائرة وهو يقول:

- بل على العكس يا أستاذي، لقد أصبحتَ أهمّ شخصيّة مؤثّرة في حياتي، بسبب اضطهادك لي تركت المدرسة في سنٍّ مبكّرة، وعانيت الأمرّين بعد أن ألقى بي والدي إلى أحد أصحاب الورش لأتعلّم صنعة (الحدادة)، أيّام كانت كبدًا وعناءً وشقاءً دون فائدة، وبينما كان أقراني يلهون ويعيشون طفولتهم، كنت أنا أتعذّب تحت حرارة الشمس، وكلام (المعلّم) اللاذع وتوبيخه لي، وبينما كان أقراني يتعلّمون الفضائل في المدرسة، كان أصدقاء السوء الذين تعرّفت عليهم بسبب طبيعة عملي في الشارع يعلّمونني شرب المخدّرات، جرّبت كلّ أنواعها، بدايةً من حبوب (الترامادول) وانتهاء بالكوكايين، وعرفت أيضًا النساء في سنٍّ مبكّرة، وتلذّذت بأنواعها كافةً البكر والعجوز، وبعدها زُجّ بي في السجن بسبب سرقتي لأحد المحال التجارية التي سرقتها لكي أوفر ثمن المتعة الحرام، قضيت فيه خمسة أعوام، خمسة أعوام ضاعوا من عمري هباءً، ولم يزدني السجن إلّا فجورًا، من قال أن السجون تهذيب وإصلاح، السجن ما هو إلّا مدرسة لتعليم أصول الشر، خرجت من السجن يائسًا ومُحطّمًا وحاولت أن أسلك الطريق القويم مرّةً أخرى وفشلت، من هو ذلك المجنون الذي قد يستوظف شخصًا كما يسمّونه الناس (ردّ سجون)، تنقّلت من مهنة للأخرى، وحتّى الفتاة التي كنت أحبها والتي كانت تستطيع إصلاحي، رفض أهلها تزويجي إياها بسبب

صحيفة سوابقي، وكل هذا بسببك، أعرفت الآن لِمَ أنت الشخصيّة الأكثر تأثيرًا في حياتي؟! لأنّك قد دمّرتها بالفعل، لو أنّك بذلت مجهودًا أكثر لتقويمي، أو على الأقل تحمّلت عبثي الذي كان طفوليًّا وقتها، لما حدث كلّ ذلك، أنت السبب.. لو لم تفعل لكنت الآن شخصًا سويًّا يستطيع المجتمع تقبّله.

همس الأستاذ (مراد) في سخرية وقد بدا أنّ الأمر ذكّره بشيءٍ ما:

- تأثير الفراشة!

قاطعه الشاب في غضب:

- عن أيّ فراشة تتحدّث، لقد قتلتَ جميع الفراشات الملوّنة في حياتي، ولم تترك لي إلّا الجراد.. الجراد الذي التهم سنوات عمري سنةً تلو الأخرى فغدت عجافًا.

نظر إليه الأستاذ (مراد) في عطفٍ وهو يشعر بالشفقة تجاه الشاب وقال:

- أنا آسف يا بني، ليت بيدي شيئًا أستطيع به التكفير عمّا فعلت.

ضحك الشاب في جنون وهو يسكب مادةً لزجةً على جسد الرجل العاري مستطردًا:

- آسف.. وهل يجدي الندم في ساعات الموت! يجب أن تذوق مذاق الألم الذي تذوّقته طوال الأعوام الماضية، أتعرف ما هذا الذي سكبته على جسدك، إنّه جبن ذائب، أتعرف ماذا سأصنع به؟

همس الأستاذ (مراد) في وجل:

- ليتني أعرف يا بني.. ليتني أعرف.

أجاب الشاب وهو يلتقط صندوقًا كبيرًا من الأرض قائلًا في جنون:

- ستعرف كلّ شيء.. هذا الجبن من أجل إطعام صغاري، هذا الصندوق به أكثر من خمسين فأرًا، وجميعهم يتضوّرون جوعًا منذ أكثر من ثلاثة أيّام، رائحة الجبن ستجذبهم، وسيبدؤون في أكله، ولكنّ الجبن سيكون بالنسبة لهم نوعًا من المقبّلات، ولن يكفي لسد جوعهم، حينها سيبدؤون في التهامك بالبطيء، وحينها فقط سوف يكون لديك الوقت الكافي للتفكيروالندم على ما فعلته بي.

صرخ الرجل طالبًا الغفران إلّا أنّ (نائل) تجاهل صرخاته كلّيًّا، وهو يفتح القفص لتسقط الفئران داخل الصندوق الر اقد فيه الرجل، ليدير إليه ظهره بعدها مغادرًا الغرفة ببطء، وهو يستمع إلى صرخات الأخير الممتزجة بصرير الفئران الذي يدل على أن وليمتها شهية لأبعد الحدود.

قصص لم يكتبها بو

"فوزي المطيري كاتب رائع للغاية، لا بل أديب، لأنّ هناك كثيرًا من الأشخاص يكتبون، لكن فوزي المطيري من الأشخاص القليلين الذين عبروا الفاصل بين الكتابة والأدب".

كنت في طريقي إلى فيلا الأخير تمهيدًا لإجراء حوار صحفي معه، كانت قد كلّفتني الجريدة التي أعمل فيها القيام به.

كلّكم تعرفون أن لي باعًا طويلًا في الانفرادات الصحفيّة، كحواري مع (الرئيس المخلوع)، وحواري مع ذلك الجن الذي كان مُتلبّسًا بـ(فتاة الشرقية)، إنّني من النوع الذي يستطيع استنطاق أيّ شخص وجعله يتحدّث مهما بلغت درجة تكتّمه، لو كلّفوني باستنطاق (أبي الهول) ذاته لنجحت في ذلك وجعلته يخرج عن صمته.

أعترف أنّي من النوع المستفز، مستفز جدًّا لدرجة أنّك قد ترغب في الاعتراف بأي شيء، حتّى لا تحاصرك أسئلتي ونظراتي المتشكّكة، وأعرف أنّ حواري مع الأخير سيشكّل سبقًا صحفيًّا آخر لي، إنّها المرّة الأولى التي يجري فيها حوارًا صحفيًّا مع أحد، إنّه ليس من ذلك النوع الذي يحب إجراء الحوارات الصحفيّة والحديث عن حياته الشخصيّة، بل إنّه حتّى لا يملك أيّ حسابٍ على مواقع التواصل الاجتماعي كغيره من الكتّاب، برغم وجود عشرات الصفحات التي يتابعها الملايين والتي تنتحل اسمه وتنشر كتاباته دون أن تمت إليه بصلة، حتّى إنّه لا يشارك في حفلات توقيع كتبه، بل لم يقم

بأيّ حفلات توقيع على الإطلاق، فقط يرسل كتاباته لدار النشر ذائعة الصيت التي يتعامل معها، ثُمّ يختفي مرّةً أخرى تاركًا وراءه الآلاف من القرّاء الذين يهمهمون حول حبكة رو اياته، والآلاف من المعجبين الذين يتوقون إلى لقائه.

يمكن أن تقول أنّه شخص فريد، فريد جدًّا لدرجة أنّك تشعر حوله بهالةٍ حين تتحدّث عنه كتلك التي تستشعرها حول القدّيسين، ولكنّي لا أعير ذلك اهتمامًا، لأنّي أعرف أنّي سأتمكّن من جعله يتحدّث، لا.. بل سأجعله يتحدّث لي كصديق حميم يحادث صديقه في جلسة سمر دون تحفّظات، أعرف مقدرتي على فعل هذا، وإن لم أنجح في إجراء ذلك الحوار، فسوف أعتزل مهنة الصحافة إلى الأبد.

كان المكان الذي اختاره (المطيري) لفيلته يقع في مدينة (الشيخ زايد)، مكان هادئ ويضمّ كثيرًا من الصفوة، ويضفي عليه مزيدًا من الاستقلالية، إن الصفوة يؤمنون بقاعدة هامة، إمّا أن تصبح مثلنا وتشاركنا في حفلاتنا وصخبنا وإمّا أن تصبح منبوذًا إلى الأبد، لهذا صار (المطيري) منبوذًا، ولهذا اختار تلك الفيلا على أطراف المدينة لكي لا يشاهد من شرفاتها إلّا الصحراء.

حين وصلت إلى تلك الفيلا، كان الحارس النوبيّ جالسًا عند بوّابتها، كلامه قليل لا يختلف عن شخص سيّده كثيرًا، أخبرته أنّ هناك ميعادًا سابقًا مع الكاتب الكبير، فغاب للحظات داخل الفيلا ثُمّ خرج مخبرًا إياي أن (المطيري) بك في انتظاري.

عند الباب كان (المطيري) واقفًا يدخّن غليونه، رجل في العقد الخامس من العمر، أشيب الفودين، أجلى الجبهة، يرتدي عوينات سميكة، وبزة كحلية اللون، تقدّم نحو المكتب أمامي فتبعته في هدوء لنستقر أنا وهو في كرسيين متقابلين وقد أحاطت بنا أرفف مكتبته التي تزدان بآلاف الكتب من كلّ اتّجاه.

جاءت خادمة آسيوية بفنجان من القهوة لي فشرعت في ارتشافه في بطءٍ وأنا أنقل نظري ما بين تفاصيل الغرفة والمطيري الذي كان صامتًا منشغلًا في تنظيف غليونه فقلت له بلهجة ودودةٍ محاولًا كسب الوقت:

- جميل السلاموني، من جريدة (الطبعة الأخيرة)، أكتب في باب...

قاطعني (المطيري) في ضيقٍ وهو يدسّ بعض التبغ في غليونه:

- أعرف من أنت، فلندخل في الأسئلة أرجوك، فكما تعلم وقتي ضيق.

قلت له وأنا أقلب بعض الأوراق من أمامي شاعرًا بالحرج:

- كاتبنا الكبير، حدثنا عن طفولتك قليلًا.

زفر (المطيري) في نفاد صبر وهو يقول:

- لا وقت للأسئلة التقليدية أرجوك، اسأل أسئلة غير تقليدية وستحصل على إجابات غير تقليدية.

قلت له في ارتباك:

- حسنًا.. حسنًا، أنا آسف، لننتقل إلى السؤال الثاني مباشرةً، لِمَ لم نسمع عنك قبل خمس سنوات؟ ولِمَ بدت موهبتك كأنها ظهرت من العدم؟! لقد سألنا أكثر من شخصٍ من الأشخاص الذين كانوا

مقرّبين منك في وقت مضى، وقالوا أنّك كنت شخصًا عاديًا جدًّا، وفوجئوا بك كتبت أكثر من رو اية في وقت قصير ولاقت نجاحًا، أرجو أن تفسّر ذلك.

صفّق (المطيري) في حركةٍ مسرحيّة، ثُمّ أشار لي بإبهامه دلالةً على إعجابه بالسؤال وهو يقول:

- سؤال جيّد، لنقل يا بني أن إخراج عمل أدبي أشبه بولادة طفل، قد تظل امرأة عقيمة لسنوات وسنوات، ثُمّ تبرأ من عقمها لتلد طفلًا ثُمّ طفلًا ثُمّ طفلًا، كنت عقيمًا يومًا ما وشفيت، والآن أنا أحمل في رحم عقلي مئات الأفكار.

ابتسمت وقد ر اقت لي إجابته:

- ممتاز جدًّا، ونشكر الله على ظهور موهبتك إلى النور لأنّ الأدب بالفعل كان سينقصه الكثير بدونك، ولكن.. سؤال للمطيري ككاتب: من هو أبوك الروحي في الكتابة؟

داعب (المطيري) ذقنه قليلًا ثُمّ أجاب:

- بالطبع ودون تردّد (إدغار آلان بو)، الكاتب الأمريكي الشهير والناقد والشاعر والمحرر وصاحب قصة (القط الأسود) الشهيرة و(جر ائم شارع مورغ)، بالتأكيد تعرفه، إن لم تكن تعرفه فأنت في كارثة.

رددت عليه بسرعة:

- بلى أعرفه، وقرأت كلّ أعماله، لكن.. سؤال: ألهذا السبب اخترت مجال الرعب؟! وما ردّك على من يقولون أن أسلوبك يشبه نسخة كربونية من (إدغار آلان بو)؟

أجاب (المطيري) وهو يشيح بيده بغضب:

- وما الضير في هذا؟! ما الضير في أن تتشابه الأساليب مع اختلاف الأفكار؟! إن كان تشابه أسلوبي مع (بو) جريمة، فأنا الآن أعلنها للجميع أنّي أدين لـ(بو) في كلّ حرفٍ كتبته.

قلت له محاولًا تهدئة الموقف:

- حسنًا أتفهّم وجهة نظرك، لننتقل للسؤال التالي.. أرى أن مكتبتك تعجّ بآلاف المجلّدات والكتب، كيف تملك وقتًا لقراءة كلّ هذا؟!

نهض (المطيري) مُمشّطًا الغرفة بخطوات ثابتة وقال وهو يتحسّس ملمس الكتب في المكتبة:

- وهل ستصدّقني إذا قلت لك أنّي لم أقرأ كتابًا واحدًا في حياتي؟!

هتفت في دهشة:

- ولكن كيف يا سيّدي؟! الأسلوب والحبكة في قصصك والمعلومات التي تزخر بها السطور، تدلّ على أنّك على قدر كبير من الاطّلاع.

نظر لي نظرةً غير مريحة ثُمّ سألني:

- هل سمعت يومًا عن طقوس (النكرومانسي)؟!

فغرت فمي في بلاهةٍ و أنا لا أعرف معنى الكلمة فاستطرد قائلًا:

- النكرومانسي (necromancy)، الكلمة المشتقّة من الكلمة اللاتينية (nekros) التي تعني ميّت و(manteia) والتي تعني تنبؤ، ذلك الطقس الذي ينتمي إلى طقوس السحر الأسود، ويتضمّن أكل أجزاء من الموتى لاكتساب قدراتهم.

سألته في حذر:

- أتعني سيّدي أنّك...؟!

أومأ (المطيري) برأسه مُؤكّدًا ثُمّ استطرد حديثه:

- لنقل أنّ الأمر بدأ منذ عشرة أعوام، لقد أخبروك من سألتهم أنّي كنت شخصًا عاديًّا ولكنهم لم يخبروك أنّي قضيت أكثر من خمسة أعوامٍ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كانت أيّامًا غير عاديّة، مررت فيها بأحداث غير عاديّة، تعرّفت هناك بتلك الجماعة المسمّاة (tenebris) الترجمة اللاتينية للـ(الجانب المظلم)، جمعية سرية تمارس السحر الأسود، وكنت عضوًا فعّالًا فيها، مارسنا الكثير من الطقوس كسحر (الفودو) وجلسات تحضير الأرواح، وتقديم الأضحيات لـ(لوسيفر)، حتّى جاء ذلك اليوم الذي أحضر لي صديق من (بالتيمور) دماغًا محفوظًا في وضع جيّد، زعم أنّه انتزع من (بو) قبل موته، حينها أخفيته عن الجماعة وبدأت في ممارسة طقوس (النكرومانسي) عليه منفردًا، بعدها بدأت مئات الأفكار تظهر في عقلي.

سألته في دهشة:

- أتقصد أن تلك القصص التي تكتبها كان من المفروض أن يكتبها بو؟!

بدا شاردًا وهو يقول:

- تخيّل أنّ ذلك الرجل كان مستودع أفكار بالمعنى الحرفي للكلمة، لقد كان يخطّط ليكتب ألف قصة ولكنّه قد وافته المنية في ظروف غامضة قبل أن يحقّق مقصده، ولكنّ أفكاره موجودة داخل عقلي الآن وسأعمل على إظهارها إلى النور، ولحسن الحظّ أنّ أسلوبه في الكتابة انتقل لي من خلال الطقوس، بالطبع لن أنسب ما سأكتبه لـ(بو) ولكنّي سأظل أدين له بالفضل في كلّ حرفه كتبته.

قلت له في عدم تصديق:

- ولِمَ اخترت يا سيّدي أن تكشف هذا السر الآن؟! وما أدراك أنّي لن أبوح بالسر لأحد؟!

ردّ (المطيري) في أسى:

- النفس البشرية دائمًا ما تضيق بالأسرار، تستطيع أن تصبر وتحتمل كثيرًا ولكن عندما تشتد عليك المعاناة فلا بدّ أن ترمي ما في جعبتك إلى أحد، حينها سترتاح كثيرًا وسينزاح همٌّ ثقيلٌ من على صدرك، وبالنسبة لك فأنت لا تشغل بالي إطلاقًا.

هتفت في فضول:

- كيف؟!

أجاب وابتسامة خبيثة ترتسم على وجهه وهو ينظر إلى ساعته:

- لأنك لن تبقى حيًّا لتبوح بالسر لأحد، بالمناسبة لقد أمرت الخادمة أن تضع لكَ في فنجان القهوة سمًّا يعمل في غضون نصف ساعة من دخوله

الجسم، والآن قارب مفعوله على العمل، ستبدأ في البداية بالشعور بأنّ معدتك تتمزّق، ثُمّ ستشعر بتلك الحرارة في جسدك كأنّك أتون نار، وبعدها ستقيء دمًا، ومن ثَمّ ستلفظ أنفاسك الأخيرة، وبالطبع لن يجسر أحد على اتّهامي في الأمر، وحتّى إن اتّهموني فلن يجدوا لجثتك وجودًا داخل الفيلا بعدما أكون قد تخلّصت منها بالطبع.

قلت له في ألمٍ وقد بدأت أحسّ بالأعراض التي ذكرها لي سالفًا:

- ولكن لِمَ؟! كان يمكنك أن تحتفظ بالسر لنفسك، لِمَ تكلف نفسك تحمّل عناء جريمة قتل؟!

أجاب في أبلسة:

- لأنّي أعتقد أنّ الكتابة وحدها لن تجني ثمارًا، لا بدّ من وجود عمل يساعد بجانبها، وأعتقد أنّ مهنة الصحافة ستفي بالغرض، إنّ تفرّدك في مهنتك هو ما جعلني أختارك، بعدما أمارس عليك طقوس (النكرومانسي) ستنتقل قدراتك وخبراتك لي، ولكن لا تقلق لن أنساك، ربّما سأذكرك في مقال أو مقالين لي، و أتحدّث عن الصحفي المفقود الذي كان يتمنّى أن يجري حوارًا مع (المطيري) ولكن لم يحالفه الحظّ.

تراجعت للخلف مذعورًا و أنا أشعر بحرارة لا يمكن وصفها تسري في جسدي، قبل أن أبدأ في عملية القيء بعدها، وتبدأ تلك الغمامة السوداء تغشو عينيّ، وكان آخر ما شاهدت هو (المطيري) الذي كان يرمق صورة (بو) المعلقة على الحائط وهو يبتسم.

الهروب

"سيجدوننا حتمًا.. لا داعي للهرب"..

قالتها زوجتي و أنا أشاهد نظرة الذعر في عينيها، ونحن نحاول النجاة بأنفسنا من الخطر المحدق بنا.

لا أعرف سر اضطهادهم لنا!

فقط كلّ ما أعرفه أن دماءنا صارت مستباحة عندهم..

بل والأدهى من ذلك أنّها صارت مصدر تفاخر بينهم..

هذا قتل واحدًا..

وذاك قتل ثلاثة...

كانوا يتحدّثون عنّا على أنّنا قتلة..

لم نقتل أحدًا.. فقط شَعُرنا بالخوف فدافعنا عن أنفسنا..

إن كان القتل نتيجة الخوف جريمة.. فكلهم مجرمون..

هكذا اضطررنا للاختباء طيلة الوقت..

أنظر في عيني زوجتي محاولًا تهدئتها، ولكن تلك الانتفاضة التي تسري في جسدي تخبرها أنّ الأمر خطر بالفعل.

أشاهد الرجال المسلّحين قادمين نحونا بعد أن أخبرهم أحدهم أنّنا نقطن بينهم..

كنّا قد اخترنا بيتًا مهجورًا لنسكن فيه أنا وعائلتي، ما الضير في هذا؟! لم نطالب بحقّنا بالسكن في منزل جديد مع أنّ هذه الأرض أرضنا، أجدادي

كانوا يقطنونها.. قبل أن يجيروا علينا ببناية تلك المباني العالية ويبدؤوا في قتل بني عرقي..

ومع كلّ هذا أعذر هؤلاء الرجال الذين ينبشون الأرض بحثًا عنا.. إنّها وظيفتهم.. هم مجموعة من المرتزقة.. يقتلوننا من أجل المال.. هكذا وجدوا آباءهم يفعلون.. إنّها مهنة توارثتها أجيال..

أفتح فمي صارخًا في وجه ذلك الرجل الذي يمسك العصا الخشبية.. فيتراجع للخلف خائفًا.. في حين أستغل انشغالهم بالحديث لنختبئ أنا وزوجتي خلف تلك الصخرة الكبيرة..

أسمع أحدهم يقول:

- اللعنة، لقد اختفى.

يرد عليه شيخ ذو لحية يرتدي عباءةً ويمسك في يده عصا خشبيّة أخرى من الواضح أنّه كبيرهم:

- لا تقلق.. أعرف كلّ مكان يمكن أن يختبئ فيه.. طوال أعوام قتلت المئات منهم.. لن يكون الأمر صعبًا علينا.. سننبش الأرض بحثًا عنه.. سننظر تحت كلّ حجر في المكان حتّى نجده.

أنظر لزوجتي قائلًا لها:

- من الواضح أنّهم لم يلحظوا وجودك.. اهربي وسأخرج أنا لإلهائهم.

تقول بعين دامعة وقد طوّقتني بجسدها:

- سيقتلونك إن خرجت.. أعرف هذا.. لم يحدث أنّ أحدًا خرج لمواجهتهم وعاد.

أردّ عليها و أنا أتحسّس وجهها الأملس:

- ولكنّك تعلمين أنّهم سيجدوننا حتمًا، حتّى إن لم نخرج إليهم.. لا بدّ من المغامرة.. اهتمي بالصغار.. هذا فقط كلّ ما أطلبه منك.

تقول لي باكية:

- أقسم لكَ أنّه إن أصابك مكروه.. فسأنتقم لك"..

أهمّ بالردّ عليها ولكنّي أسمع صوت ذلك الرجل يقول:

- سنبحث عنه خلف تلك الصخرة.

أخرج لمواجهتهم عازمًا على اللحاق بأخي الذي قتلوه منذ عامين..

خمسة رجال يحيطون بي..

إنّها حرب غير متكافئة على كلّ حال.. أنا أعزل لا أملك تلك العِصِيّ الخشبيّة وهؤلاء مسلّحون.. إن كان لا بدّ أن أموت.. فليذوقوا الأمرّين قبل ذلك..

أقف وسط الدائرة التي صنعوها حولي..

يقول أحدهم محاولًا استفزازي:

- فلنقطع رأسه.

في حين يردّ الآخر عليه:

- لا بل سنسلخ جلده.

أعترض..

وأصرخ مرّةً أخرى في اتّجاههم.. ولكن من الواضح أنّهم لم يعودوا يعيرون بالًا لصرخاتي..

أحاول تفادي تلك الضربة.. لأعضّ مُسدّدها في قدمه فتسيل منها الدماء..

يصرخ في ألمٍ وهو يتراجع للخلف..

يحاول الآخر إصابتي بتلك العصا فيفشل..

أنصب قامتي أمامهم محاولًا إخافتهم..

فيكبّلني أحدهم بالعصا ليمنعني من مهاجمتهم..

يتكاثرون حولي..

العشرات يخرجون من منازلهم ليشاهدوا مقتلي..

حتّى أطفالهم لا يشعرون بالشفقة نحوي..

هكذا ربّاهم آباؤهم على الكره..

أنظر بعينين تريان بالكاد..

فأشاهد الرجل وهو يُسدّد لي ضربة أدْمَتْ رأسي..

ألقي نظرةً على زوجتي التي تنظر من خلف تلك الصخرة عازمة على الهجوم وأطلب بنظراتي منها الرجوع..

ضربة أخرى شوّشت تفكيري ولم أعد أرى.

فقط جسدي ينتفض بعنف..

وألفظ أنفاسي الأخيرة..

****

يسأل أحدهم الرجل ذا اللحية قائلًا:

- هل انتهى الأمر؟

يردّ عليه ذو اللحية في حزم:

- لا بدّ من فصل رأسه عن جسده.. وبعدها نبحث عن زوجته.

يسأله الرجل:

- وما أدراك أنّ له زوجة؟

يردّ الشيخ ذو اللحية بثقةٍ وهو ينظر نحو الجسد الملقى على الأرض:

- إنّه ذكر ثعبان بالغ.. لا بدّ أنّه اختار وليفةً له.. سننبش تحت كلّ حجر وخلف كلّ شجرة حتّى نجدها.

ثُمّ أشار بيده إلى الصخرة الكبيرة قائلًا:

- لتبدؤوا من هناك.

عام الموت

اسمي هو (عشماوي) أنفّذ أحكام الإعدام..

تسألوني عن اسمي الحقيقي، فليكن "محمود" أو "فتحي"، أو أيّ اسم آخر تختارونه، ولكنّي أحب هذا الاسم، وأحب أيضًا أن تنادوني به..

لست كمنفّذي الإعدام التقليديين، متسع الأفق، دائم الاطّلاع، مثقف إلى حدٍّ لا بأس به.. لا أملك ذلك الشارب الضخم والرأس الأصلع الذي يذكرك بمنفّذي الإعدام في الأفلام القديمة.

تسألوني لِمَ اخترت هذه المهنة بالذات؟ لا أعرف، ربّما تكون هي من اختارتني..

صديق يتوسّط لي لأنتقل لهذا القسم، يقول أنّهم يعطون رواتب لا بأس بها نظير متاعب المهنة، كنت في أمس الحاجة إلى زيادة في الراتب، لهذا وافقت على الفور..

في البداية كنت خائفًا، كنت أنظر للأمور نظرةً عاطفيةً بحتة، ولكن مع مرور الوقت تعوّدت على الأمر، وصرت أتعامل مع أسماء وجرائم ليس إلّا..

شاهدت أغرب القصص في مجال عملي، من الغريب جدًّا أن يعرف شخص أنّه سيموت بعد دقائق معدودة، هذه المرأة تبكي بهستيرية، وهذا الرجل يفرغ معدته من شدّة الخوف، كمية إغماءات لا بأس بها، كلّ شخص يتوب إلى الله بطريقته، هذا يصلي للتوبة، وذلك يرسم الثالوث على صدره، والأغرب من ذلك الطلبات، هذا قاطع طريق يطلب مصحفًا ليقرأ فيه، هذه

المرأة تطلب منا الاتّصال بابنتها التي كانت تقاطعها لسماع صوتها، كم أنتِ غريبة أيّتها المسكينة، لقد كانت الدنيا ممتدّةً أمامك فاستكبرت، ولكنك الآن ضعيفة و أنتِ على ضفاف الموت..

كان عملي ذا طابعٍ سرّيٍّ إلى حدٍّ ما، لم تكن تعرف وظيفتي سوى زوجتي وبعض الأشخاص المعدودين، الناس تنظر لمن يعملون في مهنتي، على أنّنا ملائكة الموت، نقبض أرواح الناس عبثًا، طبعًا بالإضافة إلى قصة الثأر المعروفة، أهالي المعدومين لا يرون أننا ننفّذ الأحكام، ولكنّهم يرون أنّنا قتلنا ذويهم..

كانت الأمور تسير على وضعها المعتاد..

حتّى جاء اليوم الذي كنت أنفّذ فيه حكم الإعدام على ذلك الشاب..

شاب في أواخر العشرينات، يرتدي نظارة طبية، من الواضح جدًّا أنّه يعمل في وظيفة ذات طابع مرموق، محكوم عليه بالإعدام جرّاء جريمة قتل وتبيّن من الأوراق أنّه طبيب ويدعى (محمد عبد السلام)..

تلا الضّابط الحكم المدوّن في أوراقه، ثُمّ أتى ذلك الشيخ ليُلقّنه الشهادتين وقدنا ذلك الشاب نحو الحبل الغليظ المتدلي من الأعلى ليلقى مصيره..

كان الشاب يجر قدميه جرًّا، يبكي بهستيرية ليسقط أرضًا، يقول أنّه لم يقترف ذنبًا، يخبرنا أنّه لم يقتل ذلك المسن ولكننا لم نُعِره اهتمامًا، كلهم يزعمون ذلك، لو كان الأمر بالتوسّلات لنجا الجميع، ولكنّ الأمر غير متروك لرحمة القلوب، نحن فقط ننفّذ العدل الإلهي في الأرض..

لففت ذلك الحبل الغليظ حول رقبته في حين نظر لي الشاب نظرةً مستعطفةً وهو يرتجف قائلًا لي بصوتٍ متقطّع:

- صدّقني لم أفعل شيئًا.

تجاهلت عبارته الموجعة، ووضعت له الغمامة السوداء لتخفي ملامح وجهه الخائف، ثُمّ سحبت ذراع الموت التي بجواري فانفتحت تلك الهوة أسفل الشاب ليفارق الحياة..

جسدي يرتجف وبعنف.. أوّل مرّة يحدث معي هذا منذ أمدٍ بعيد.. تلك النظرات المستعطفة في عيني ذلك الشاب كانت لها طابع خاص..

سألني الضّابط عمّا بي، فلم أتمكّن من الرّدّ، نظرت له بعين زائغة والصور تتراقص أمام عيني، وسقطت بعدها فاقد الوعي..

استيقظت لأجد نفسي في منزلي منهك القوى، الصداع يملأ رأسي، وزوجتي تخبرني أنّني نمت أكثر من اللازم، نظرت إلى الساعة لأجدها التاسعة صباحًا، وذلك يعني أنّي متأخّر فعلًا.. استقللت الحافلة مسرعًا وتوجّهت إلى عملي..

قابلني الضّابط المسئول عن التنفيذ.. سألته عن عدد الأحكام المطلوب تنفيذها اليوم.. فأجاب بأنّهما اثنان..

الإعدام الأوّل كان لامرأة قتلت طفلتها ليخلو لها الجو مع عشيقها..

العالم قاسٍ بحق.. أين ذهبت الرحمة من قلوب البشر، حتّى البهائم لا تفعل ذلك مع صغارها..

ظلّت المرأة تضحك بهستيرية من هول الموقف، أو ما نعرفه نحن بجنون ما قبل الموت..

قمت بتنفيذ الحكم دون أن يطرف لي جفن أو تأخذني شفقة بتلك الباغية..

بعدها اقتادوا لي الحالة الثانية المحكوم عليها بالإعدام من الغرفة الملحقة بغرفة التنفيذ..

شاب في أواخر العشرينات.. يرتدي نظارةً طبية..

عرفته على الفور.. كان الشاب الذي نفّذت عليه الحكم بالأمس..

نظرت للشاب في ذهول قائلًا:

- أنت!

لم يبد الشاب أيّ إيحاء أنّه يعرفني..

سألني الضّابط المرافق لي إن كنت أعرفه، فأجبته بالنفي..

هناك ظاهرة سمعت عنها تُسمّى (ديجاڤو) وهي مصطلح فرنسي يعني حدث من قبل، تحدث عندما تشاهد موقفًا لتظن أنّه حدث معك في وقت مضى..

أعتقد أن هذا يحدث معي الآن..

اقتدت الشاب لتنفيذ الحكم، وغطّيت وجهه بسرعة بتلك الغمامة السوداء تمهيدًا لإعدامه، كان قد نظر لي قبلها بتلك النظرة المستعطفة قائلًا لي:

- صدّقني.. لم أفعل شيئًا..

تجاهلت كلماته وأنزلت العصا ليسقط الشاب وأنا أسمع تلك القرقعات العنيفة الصادرة من عنقه التي تدل أنّه لفظ أنفاسه الأخيرة..

خرجت من الغرفة خائفًا لأشعل سيجارة..

تقول زوجتي أن السجائر ستقتلني يومًا ما..

أشعر بضيق في التنفّس، أعقبه دوار، تشبث يداي بالهواء محاولةً منعي من السقوط ولكن الدواركان أشد، لأسقط بعدها فاقد الوعي..

استيقظت بعدها مذعورًا لأجد نفسي في الحافلة متوجّهًا إلى مكان عملي..

تفاجأت من أن كلّ هذا مجرّد حلم داخل حلم..

دخلت غرفة التنفيذ، سألت الضّابط عن الأحكام المطلوب تنفيذها اليوم فردّ بأنّهما اثنان..

الأمر عجيب بحق.. ليس له علاقة بظاهرة (الديجاڤو)، أو (الراندڤو) حتّى..

اليوم يتكرّر بالتفاصيل كافّة..

نفّذت حكم الإعدام على عجل على نحو حاز على استغراب الضّابط المسئول، ثُمّ ذهبت إلى الحمام مسرعًا لغسيل وجهي..

أعرف ما سيحدث الآن..

سأشعر بالدوار، وأتراجع للخلف ليصطدم رأسي بالجدار الصلب، الرأس يوشك على الانفجار، أترك جسدي هذه المرّة دون أن أحاول التشبّث بشيءٍ لأسقط بعدها فاقد الوعي..

اليوم الخامس والستون بعد الثلاثمائة الذي يتكرّر فيه نفس الموقف..

حاولت الفرار أكثر من مرّةٍ ولكنّي كنت أسقط فاقدًا الوعي عند أيّ محاولة للهرب..

أعرف كيف كانت البداية..

وأعرف لِمَ يحدث هذا..

أعرف أنّ الشاب بريء.. بل إنّي أعرف القاتل..

كان العجوز يعمل بالسمسرة، باع لي قطعة أرض وهمية استنفدت نقودي كافّة، كان يستحق بجدارةٍ أن يقتل..

أذكر كيف تربّصت به مستغلًّا انقطاع التيار الكهربائي طاعنًا إيّاه بتلك المدية الحادة أكثر من مرّة، وظللت أراقب المكان من بعيد، أذكر ذلك الشاب العائد من عمله الذي أسرع إلى العجوز في محاولةٍ لإسعافه، لكم عانى حتّى ينتزع تلك المدية من صدر الرجل، ليزيد الأمر سوءًا ويطبع عليها بصماته..

أعرف أنّ الكهرباء حينها عادت لتلتقط كاميرا المتجر المقابل الحادث وتصور الشاب..

أنا شاهدت الطبيب وهو ينظر إلى الكاميرا ثُمّ يهرب خوفًا من أن يتّهم في الجريمة..

كان الحظّ من اقتاده لي أنا بالذات لأنفّذ عليه حكم الإعدام، سخرية القدر أنّ القاتل يُطبّق القانون على البريء.

أذكر كيف أصابني الاكتئاب بعدها، وندمت على أنّني لم أعترف بجرمي.

حينها صعدت إلى سطح المنزل لإنهاء معاناتي.

لففت حبل الموت حول عنقي لألقى مصيري الذي أستحقّه.

بعدها استيقظت لأجد نفس الموقف يتكرّر حتّى الموت.

هناك أسطورة يونانية قرأتها يومًا عن (برومثيوس) الذي سرق شعلة المعرفة من (زيوس) كبير الآلهة ليعطيها للبشر، فكان جزاؤه أن عُلّق عاريًا على جبل القوقاز، بينما يأكل النسر الإلهي من كبده، وحتّى يدوم العقاب للأبد، أمر (زيوس) أن يخلق له في كلّ يوم كبد جديد، هكذا حصل (برومثيوس) على العقاب الأبدي..

أعرف أنّ هذا يحدث معي الآن، وأنّ عقابي سيدوم إلى الأبد، ولكن (برومثيوس) سرق الشعلة ليفيد البشر..

ولكنّي أعرف أنّني أستحقّ.

المهمة

"ساعة واحدة لإنهاء الأمر"

كانت تلك العبارة تدور في ذهني، و أنا أحاول تذكّر تلك الأحداث المعقّدة التي ترتّب عليها وجودي هنا.

جدي كانت مهمته صيد (مصاصي الدماء)، هكذا حصل على لقب (التنين المحارب)، بالسيف المصنوع من الفضة الخالصة مع أنفاس التنين الأحمر استطاع قتل (دراكولا).

هكذا عاشت البلدة في سلام لمدة مائة عام.

تقول الأسطورة أنّ (دراكولا) سيبعث كلّ مائة عام ليكون (سيّد الظلام).

طوال أعوام كثيرة كنت أبحث عن السيف الذي سرق في ظروف غامضة من قبل مجموعة من التابعين الذين يُمهّدون لعودة (المخلص الأسود)، وأخيرًا وجدته.

بلدتنا هادئة، ورجالها فلاحون بسطاء لا يقوون على حمل السلاح، ولهذا تمّ اختياري للمهمة..

ولِمَ لا؟!

أنا حفيد التنين الأحمر، لا بدّ لي أن أنتصر وأعيد أمجاد جدي.

أخيرًا أقف أمام غابة الموتى..

الخيول التي تجر عربتي تتراجع للخلف مذعورة وترفض الدخول..

يقال أنّ أيّ كائن حي يدخلها يتحوّل إلى تمثال حجري في الحال، ويبدو أنّ الخيول تعرف هذا، تلك الحيوانات تدرك أحيانًا أشياء لا يستطيع بنو البشر إدراكها برغم كلّ ذكائهم، ولكنّي لا أعير ذلك اهتمامًا، أنا أملك سيف التنين لذلك لن تصيبني اللعنة.

تقدّمت بخطوات متوجّسة نحو الغابة، وأنا أشاهد هؤلاء المحاربين الذين فتحوا أفواههم في رعب وقد تحوّلوا إلى تماثيل حجرية.

أمزّق بنصل سيفي تلك الأغصان التي تشابكت معترضة ذلك الممر المؤدي إلى القلعة، وأنا أحاول بقدر الإمكان أن أتجنّب تلك الجذور الحية الشبيهة بالأفاعي التي تلتف حول قدمي محاولةً تكبيلي.

قمت بسكب بعض القطرات من قنينة المياه المقدّسة على حذائي الجلدي، فكانت كافيةً لإبعاد الخطر.

"لم يتبقّ سوى أربعين دقيقة"

أسمع صوت صراخ فتاة يأتي من خلف تلك الشجرة كثيفة الأغصان فأعدو مهرولًا إلى مصدر الصوت، أجدها هناك مقيّدةً على الأرض، فأجثو على ركبتي محاولًا نزع تلك الحبال التي تطوّقها وإنقاذها.

تقول لي ضاحكةً وهي تكشف عن تلك الأنياب اللعينة:

- "لم يتبق سوى ثلاثين دقيقة ويسود سيّدي العالم".

تغمرني الدماء اللزجة وأنا أشطرها بسيفي إلى قسمين وأراقبها وهي تتحول في ثوانٍ معدودةٍ إلى كتلةٍ مشتعلةٍ من النيران استحالت لرماد.

اللعينة كانت تحاول إلهائي، إنّها لعبة من يُخسّر الآخر الوقت.

أعدو و أنا أتحسّس الوتد الخشبي المعلق على جانبي الأيمن نحو القلعة التي بدت تلوح لي في الأفق وقد ألقى الليل بظلاله الثقيلة عليها..

لا بدّ أن أغرس الوتد الخشبي في صدره حين استيقاظه.

موسيقى تصويريّة مرعبة تكاد تصمّ أذنيّ لا أعرف من أين تأتي ولكنّها توحي بالخطر..

أصوات عواء الذئاب تتصاعد..

لطالما اختار الكونت المستذئبين أعوانًا له.

جوان.. بيتر.. جونسون.. كلها أسماء راحت ضحية نداء القمر..

أخيرًا أصل للقلعة التي جعلها الشيطان وكرًا له.

دفعت الباب بكتفي أكثر من مرّةٍ فرفض الانصياع لأيّ محاولةٍ لفتحه بالقوّة..

لا بدّ من وجود مدخلٍ ما..

رحت أبحث عنه في سرعة وأخيرًا وجدته.

كانت تخفيه تلك الشجيرات المتشابكة، ومن المؤكّد أنّه يقود إلى القبو..

"لم يتبق سوى عشر دقائق"

رفعت باب القبو لأعلى فانفتح في سهولة، وفي خطوات معدودة نزلت عبر الدرج إلى الأسفل.

مددت يديّ بالمشعل إلى الأمام فتمكّنت من الرؤية.

بعض الوطاويط طارت هاربةً حينما أغشى أعينها الضوء، من الواضح أنّه أغضبها.

"تبقى ثلاث دقائق فقط"

نظرت للقبو الفارغ إلّا من تابوت في وسطه، وتقدّمت نحوه في خوف..

صوت أقدام من خلفي تقترب..

دقّات قلبي تتزايد وأشعر بالقلق..

أنظر للخلف فأجده..

بجبهته الضخمة وكرشه المتدلّي من أمامه، يقول لي بصوتٍ أجش:

- "انتهى الوقت يا بني، هل تريد حجز ساعة أخرى؟!".

نظرت في أسى لصاحب مقهى ألعاب الفيديو الذي يعلن لي انتهاء المدّة التي حجزتها للعب، ورحت أبحث في جيوبي عن أموال فلم أجد سوى غطاء زجاجة مياه غازية كنت قد شربتها يومًا ما.

طلبت منه أن يعطيني عشر دقائق إضافية على أن أنقده ثمنها غدًا، فهز رأسه نافيًا وهو يقول:

- "الوقت هنا يساوي المال.. يمكنك القدوم غدًا مع مزيد من الأموال لتجربة ألعاب جديدة".

نهضت جارًا قدميّ وأنا أمتّع عينيّ بنظرة أخيرة إلى شخصيّة اللعبة الواقفة في ترقّب أمام التابوت منتظرةً فتحه، ثُمّ زفرت في غضب وأنا أجر قدميّ جرًا نحو الخارج شاعرًا بالأسى على تلك المهمة التي لم أستطع إنهاءها في ساعة واحدة.

المكالمة

"الساعة الواحدة صباحًا"..

رجعت من عملي متأخرًا بعد يوم مليء بالمهام في تلك الجريدة التي أشغل منصب رئيس تحريرها، وأكتب فيها مقالي الأسبوعي..

نظرة إلى تلك الأريكة الجاثمة أمام التلفاز، كانت كافيةً بأن تنسيني متاعب اليوم كافّة.

جرس الهاتف يرن..

لكم أكره المكالمات المتأخّرة..

أشتاق لتلك الفترة التي كانَ فيها أشخاص معدودون يملكون رفاهية استخدام الهاتف، كان لعبارة "تليفون عشانك من مصر" مذاق مميّز يذكّرك بمدى أهمية هذا الاتصال.

الآن كلّ من هبّ ودبّ يتّصل بي غير مراعٍ لحرمة الليل..

أردّ أخيرًا على الهاتف..

يأتيني ذلك الصوت الأنثوي على الجهة الأخرى يقول:

- "الأستاذ (طاهر الدسوقي)"!

- "نعم سيّدتي.. من تحدّثني؟!"..

- "اسمي (أسماء محفوظ)، متابعة لمقالك الأسبوعي في تلك الجريدة، أعرف أنّ الوقت مُتأخّر، ولكنّي فهمت من مقالاتك، أنّك مهتم بالأمور الخارقة للطبيعة، أعتقد أنّ قصتي ستروق لك"..

قلت لها:

- "تفضّلي سيّدتي.. كلّي آذان مصغية"..

قالت لي في صوت خافت:

- "إنّهم قد احتلّوا شقّتي، لا أعرف كيف ولا أين بدأ ظهورهم، ولكنّهم أحالوا حياتي للجحيم"..

سألتها في محاولة لفهم الأمر:

- "من هم الذين ظهروا؟!".

قالت لي مستنكرة:

- "كنت أظنّك صاحب سرعة بديهة.. ألم تعرف بعد؟! إنّهم الأشباح!"..

رددت في جدية:

- "سيّدتي.. لو كانت هذه دعابة، يمكنك أن تمارسيها في الصباح، لا أقبل الدعابات بعد الواحدة صباحًا"..

قالت لي بصوت مرتجف:

- "سيّدي.. لَستُ هنا لأروي لكَ دعابة، شقّتي تمتلئ بهم الآن، عائلة من الأشباح سكنت شقّتي، صدّقني لا أستطيع النوم، تخيّل نفسك في موضعي ماذا كنت ستفعل؟!".

سألتها في اهتمام:

- "كم عددهم بالضبط؟!".

ردّت قائلة:

- "لا أعرف تحديدًا.. أحيانًا هناك أشباح تزورنا كلّ فترة، ولكنّي أشاهد ثلاثة كيانات تسكن المنزل، رجل وامرأة وطفل، ثُمّ إنّ ذلك الطفل منظره مخيف حقًا، مبتورة ساقه، وكأنّه قد توفي جرّاء حادثة ما".

قلت لها:

- "هل تشاهدينهم باستمرار؟!"

أجابت:

- "أحيانًا يغيب الرجل فلا أراه، المرأة تعتبر شبه مقيمة في المنزل، ثُمّ إنّها تمارس معي دعاباتها المخيفة، إنّها تخترق جسدي بصفة مستمرة، أرى انعكاسها أحيانًا في المرآة، مفارش السرير تسحب من تحتي و أنا نائمة، وبكاء الطفل طوال الليل، ما زال صوته في أذني يكاد يصيبني بالصمم"..

قلت لها مقاطعًا:

- "هل عرضتِ نفسكِ على طبيب نفسي؟"

ردّت بصوت باكٍ:

- "تعرف يا سيّدي، الأطباء لا يعتقدون في هذه الأمور، ينظرون للأمر نظرة طبية بحتة، ولكنّك تُصدّقني أليس كذلك؟! من فضلك جد لي حلًّا"..

قلت لها:

- "أمامك خياران.. إمّا أن تتجاهليهم تمامًا كأن لا وجود لهم، أو ترحلي إلى شقّة أخرى، أعرف أنّك لن تقبلي الخيار الأوّل لذا أنصحك بالخيار الثاني"..

ردّت معترضة:

- "تعرف أنّني لا أستطيع ترك شقّتي، من الصعب أن تجد شقّةً فارغةً بسهولة، تسمع عن أزمة الإسكان هذه الأيّام، تعبت جدًّا حتّى وجدت هذه الشّقّة، إنّها رائعة وفي موقع متميز، كلّ مشكلتها هم، يمكنك أن تأتي وتلقي نظرةً على الشّقّة، ستشعر بالمشكلة فور دخولك من الباب، ثمّة شيء خاطئ داخلها، أعرف جدول أعمالك المزدحم، ولكنّها نصف ساعة لا أكثر، أرجوك لا ترفض طلبي".

قلت لها:

- "حسنًا.. غدًا الساعة التاسعة صباحًا.. أعطيني العنوان"..

- "شقّة رقم ثلاثة.. في برج (...) بالمهندسين.. سأنتظرك"..

الساعة التاسعة.. توجّهت إلى ذلك العنوان الذي أخبرتني إيّاه في الهاتف..

قمت بدقّ الجرس..

فتح لي شاب في منتصف الثلاثينات يرتدي فانلة داخلية بيضاء..

شعرت بالإحراج..

من الواضح أنّ العنوان الذي أعطتني إيّاه الفتاة خاطئ..

سألته إن كان هناك (أسماء محفوظ) تقطن في هذه البناية..

فوجئت به يضحك قائلًا لي:

- "أنت أيضًا تسأل عنها.. إنّك سابع شخص يأتي إليَّ هذا الشهر ويسأل عنها.. كلّهم يخبرونني أنّ هناك فتاةً اتّصلت بهم.. سيّدي، (أسماء) التي تسأل

عنها توفيت منذ ستة أعوام.. نحن سكّان جدد في تلك الشّقّة.. أعترف لكَ أنّي سأترك هذه البناية.. إن استمرت هذه الدعابات المزعجة".

صافحته متأسفًا له على الإزعاج..

وغادرت صاحبًا معي خيبة الأمل..

توقّفت للحظات وألقيت نظرةً للخلف..

حينها فهمت الأمر..

و أنا أشاهد ذلك الطفل يسأل أباه عمّا كنت أريد..

ذلك السؤال الصادر من طفل مبتورة ساقه..

المخلوق

اسمي بروفيسور (إيرك كلاين)، أعترف أنّني رجل ثرثار بحق، ولكن هذه المرة أعرف أنّه يتحتّم عليّ ألّا أخبر أحدًا، أنا أعلم كالجميع بوجود المنطقة (٥١) التي أنشئت تباعًا لِما حدث في (روزويل)، كلكم تعرفون الو اقعة الأخيرة التي تكتّم الكونجرس عليها وزعم أنّها تجربة فاشلة لمنطاد تجارب، الأمر الذي أعتبره أنا صفعة قوية على وجه كلّ الأمريكيين، إنّ ما حدث في (روزويل) يجب ألّا يحدث ثانيةً، لا بدّ أن يعلم الجميع ما يحدث، أنا مقتنع تمام الاقتناع بأنّ الخالق لم يخلق كلّ هذه المجرات عبثًا ولهوًا ولا بدّ من وجود عِلّة وسبب.

ليس من المنطقي أن يبني شخصٌ مدينةً سكنيةً مليئةً بالبنايات ليقتصر فيها السكن على شخصٍ واحد، هذا ما أومن به وأوقن أن أيّ رأي خلافه هراء.

بالأمس تحصّلتُ على أوّل دليل ملموس على وجود كائنات عاقلة خارج الكوكب.. مخلوق فضائي ولِحُسن الحظّ ما زال حيًّا، سقطت مركبته في أحد الحقول القريبة من المختبر الكائن في قبو منزلي، وبلّغني به أحد المزارعين، الذي دسست في فمه مبلغًا ضخمًا من المال حتّى لا يشي بالأمر لأحد.

حينما سيصل مكتب الاستخبارات إلى هناك، سيجد مجرّد مركبة فارغة وسيزعمون أنّها تجربة فاشلة لمنطاد آخر، في أثناء ذلك سأقوم أنا

بفحصه وسأعرف كلّ شيءٍ عنه، حينها سأركل مؤخرة ذلك الشخص الجالس على كرسيه في البيت الأبيض الذي يزعم أنّه لا يعرف أيّ شيء.

لأبدأ العمل الآن وليشملني الرب بعنايته.

كانت الساعة التاسعة والنصف مساءً حينما بدأتُ بالعمل، لم تقبل زوجتي (مارثا) الفضولية دائمًا مشاركتي في مثل هذا الكشف، طلبت منها البقاء والقيام بالتصوير ولكنّها رفضت ذلك، قالت أنّها لا تريد خوض أيّ مشاكل مع (FBI) الذين لو علموا بما نفعله لعلّقونا على حدّ قولها على خطاطيف كالخنازير المذبوحة..

اقترحت عليها بقاءها في غرفتها لحين الانتهاء فو افقت على الفور، أثق أنّها لن تخبر أحدًا بالأمر.. لأنّها ليست من ذلك النوع من الزوجات، ستظل في غرفتها تبكي وترتجف وتصلي للرب أن لا يمسني سوء.

ثبّتُّ الكاميرا على حامل ثلاثي الأرجل وبدأت التصوير..

كان الكائن موضوعًا على طاولة مستطيلة لم يشغل من حيّزها إلّا الثلثين وقد قمت بتقييده من أطر افه كافةً تحسّبًا لما قد يبدر منه من ردة فعل.

قمت بنزع تلك البزة الفضية التي يرتديها المخلوق تمهيدًا لفحصه، وقلت في محاولة لتسجيل ذلك الكشف العلمي المذهل:

- الفحص المبدئي للكائن، الطول مائة وخمسة وعشرون سنتيمترًا، محيط الخصر ستة وعشرون إنشًا، ترتيب أعضاء الجسم الخارجية يشبه البشر إلى حدٍّ كبير، العينان يحتلّان أغلب الوجه، لا يوجد أعضاء تنفّس

بارزة في الجسم فقط فتحتان لإدخال الهواء، لون الجسم مائل للرمادية، لا يوجد دليل واحد أستطيع منه تحديد جنس المخلوق، لا وجود لأعضاء ذكورية أو أنثوية، من المؤكّد وجود وسيلة لتكاثر تلك المخلوقات بخلاف الوسائل المعتادة.

هناك سوار أزرق اللون يحيط بذراع المخلوق فشلت في انتزاعه، ربّما يكون وسيلة للتواصل بينه وبين من أرسلوه أو وسيلة لِفهم لغتنا، لم أستطع معرفة غرضه بعد.

المخلوق راقد في وضع سبات مغلق العينين وما زال يتنفّس، التحليل المبدئي للبزة التي كان يرتديها، أنّها مصنوعة من نسيج خاص ما بين الجلد والألياف النباتية، ربّما كانت من جلد مخلوق يعيش في عالمهم.

أتممت عبارتي الأخيرة عندما فتح ذلك المخلوق عينيه في بطء وحدَّق في اتّجاهي..

توجّست خيفةً للحظات وأنا أشعر ببرودةٍ تسري في جسدي ثُمّ استطردت:

- أفاق المخلوق في حوالي العاشرة وثلاث دقائق، لم يصدر أيّ ردّ فعل هجومي ولم يتحدث بأيّ لغة حتّى الآن، العينان يكسوهما السواد وبالتحديد اللون الأسود الداكن وهناك...

قبل أن أتمّ عبارتي الأخيرة دقّ جرس الباب..

هتفت بـ(مارثا) أن تفتح الباب فلم تسمعني، من الواضح أنّها نامت أو أنّها تخاف أن يكون مكتب الاستخبارات هو الطارق.

غادرت القبو و اتّجهت نحو الباب ناظرًا من خلال عينه السحريّة لأجده عامل توصيل البيتزا، من الواضح أنّها قد طلبت شيئًا لتأكله لأنّني لم أطلب شيئًا مثل هذا، هكذا هم النساء إذا غضبن انفجرن جوعًا..

استلمت البيتزا ووضعتها على الطاولة هاتفًا:

- مارثا.. البيتزا على الطاولة..

ثُمّ اتّجهت إلى القبو مرةً أخرى لاستكمال العمل..

توقّفت مذعورًا و أنا أشاهدها تقف أمام المخلوق واجمةً وهي تعبث بالقيود التي تطوّقه، هتفت بها في غضب:

- مارثا! ماذا تفعلين أيّتها الغبية؟

نظرت في اتّجاهي مذعورة و اتّجهت إلى غرفتها مسرعة..

تركتها في شأنها واستكملت عملي.. لا وقت للحديث الآن..

كان المخلوق يبدي ردّ فعلٍ عصبيًا جدًّا على خلاف السابق، يحاول أن ينزع تلك الأغلال التي تطوّقه، ناظرًا إليَّ في ذعر.

اقتربت منه محاولًا إحكام وثاقه وحقنه بمخدّرٍ لاستكمال عملي ففوجئت به يخمش يديّ بأظافره الطويلة المدبّبة.

تراجعت للخلف مذعورًا ففوجئت به يعتدل في جلسته نازعًا ذلك الطوق الذي يقيّده..

(مارثا) اللعينة قد حلّت وثاقه بينما أنا منشغل مع عامل توصيل البيتزا أنقده نقوده..

تراجعت للخلف أكثر ونزعت مسدّسي المعلّق على جانبي الأيمن الذي أحضرته خصيصًا لموقف مثل هذا وفي تردّد وجّهت فوّهة المسدّس نحوه وبيدٍ ترتجف أطلقت النار.

لم يبد المخلوق أيّ ردة فعل بعد ذلك، طلقة واحدة تقتل على الفور خصوصًا لو كانت في منتصف الجبهة.

حملته إلى الطاولة مرّة أخرى تمهيدًا لتشريحه، أظنّ أنّ ذلك لن يجرح مشاعره، لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها.

قلت و أنا أمسك بمبضعي محدثًا شقًا طوليًا في صدره:

- قمت بقتل ذلك المخلوق بعد مهاجمته لي، لا أدري ما سبب الذعر الذي أصابه، لقد كان هادئ الطباع، لم أقم بفحص جسدي بعد للتأكّد من احتمالية نقله لعدوى لي من عدمها.

التشريح الداخلي للجسم مطابق لأجسادنا في كلّ شيء، لا يوجد أيّ آثار لجلطات دمويّة أو أورام سرطانيّة، الكليتان سليمتان والرئتان في وضعٍ جيّد، لو كان هذا الجسد لإنسان لأمكننا القول أنّه سليمٌ معافى.

مددت يدي إلى ذراعه اليسرى أعبث في ذلك السوار الذي يحيط بمعصمه مرّةً أخرى في محاولة لتحديد ماهيته، فلفت انتباهي خاتمٌ ذهبيٌّ مميز الشكل يحيط بإصبعه..

هذا الخاتم أعرفه جيّدًا.. إن هذا الخاتم خاص بـ(مارثا).. لو صح تخميني بشأن السوار فهو...

تراجعت للخلف مذعورًا ممّا تسبّب في سقوط تلك الطاولة التي تحتوي على الأدوات الطبية هاتفًا:

- ماذا فعلت يا (إيريك)، فلتشملني بعنايتك يا إلهي الرحيم على ما اقترفته روح خادمك المعذّبة، لقد قتلت (مارثا).. لقد قَتلتُ زوجتي.

جاءني الردّ من خلفي هذه المرّة، وعرفت منه أنّها النهاية.

فقد كان الصوت الصادر من خلفي..

صوتًا غير بشري على الإطلاق.

نصيحة

كانت (غيداء المنياوي) من طراز الفتيات اللاتي لا يتسمن بأيّ شيء.. تقليديّة جدًّا..

بل أكثر فتاة تقليديّة عرفتها في حياتي.. ثقيلة الوزن.. تملك تلك الأصابع المكتنزة التي لا تصلح من وجهة نظري إلّا للف (صوابع المحشي)..

أعترف أنّه في يوم ما جمعتنا قصة حب، ولكنّي رأيت أنّ ارتباطنا معًا سوف يشكّل جريمة في حقّ الإنسانيّة..

تخيّل منظر ذلك الطفل الذي سننجبه..

تخيّل منظر أبيه بذلك القميص الذي يغطّي منكبيه.. وأمه بتلك البلوزة المشجرة الفضفاضة.. لم يكن العالم سيتحمّل ذلك..

هكذا أنهينا قصة الحب التي لم تبدأ..

اليوم اتّصلت بي..

مرّت خمس سنوات منذ آخر مكالمة بيننا.. كانت قد تزوجت زواجًا تقليديًّا جدًّا من ابن عمها المقيم بالأرياف..

سألتها عن حياتها.. وماذا صنعت الحياة معها فردّت أنّها بخير..

عرفت على الفور أنّها ليست على ما يرام..

تلك الفتاة التي كانت تتذمّر على كلّ شيء.. لا تردّ بهذا إلّا إذا كانت تحمل فاجعة كبرى..

سألتها عمّا بها.. فأجهشت بالبكاء.. وكأنّي قد فتحت غطاء ذلك القدر الذي يغلي منذ زمن..

قالت لي أنّ هناك مشاكل بينها وبين زوجها.. زوجها ينغّص عليها حياتها ويعايرها بعدم الإنجاب.

أيّ نوع من الرجال هذا؟!

هؤلاء الرجال لا يعرفون عن مشيئة الله شيئًا.. ويُحمّلون المرأة وحدها الذنب..

يعتقدون أنّ الأنثى آلة لإنجاب الأطفال..

حتّى الماكينة الأوتوماتيكيّة العمل.. لا بدّ من وجود شخص يشرف عليها ويُشغّلها..

إن كان الرجل يريد حقًّا امرأة تنجب.. فليمض عقد اتّفاق مع والد الفتاة ويشترط عليه أنّها تنجب..

سألتها و أنا أحاول أن أهدئ من روعها:

- "هل أنتِ متأكّدة أنّ العيب فيكِ؟! لِمَ لا تكون المشكلةُ فيه؟!"..

ردّت بصوت باكٍ:

- "هو يُحمّلني كلّ الذنب.. ويرفض الخضوع لأيّ فحوصات.. يقول أنّ ذلك سيشينه كرجل.. ويزعم أنّه من عائلة مشهورة بكثرة الإنجاب"..

ثُمّ أردفت قائلة:

- "من فضلك جد لي حلًّا.. تعلم أنّ والديّ متوفيان ولا أملك أخًا ليدافع عنّي.. إنّي أعتبرك بمثابة أخي".

رددت في نوع من التفهّم لمشاعر تلك المرأة المغلوبة على أمرها:

- "مبدئيًّا (غيداء) هل أنتِ تهتمين بأمور زوجك.. تعرفين ميزان المنزل.. يمكن للرجل أن يضحي بشيء مقابل شيء آخر.. بعض الحنان والدلع سيفي بالغرض.. يمكنك أن تُغيّري من منظرك أو طريقة تعاملك معه.. الرجال يحبون هذه الأمور"..

ردّت وهي تستشيط غضبًا معلنةً عدم تقصيرها:

- "إنّني فعلت كلّ شيء من أجله.. أحرص على نظافة المنزل بشكل مبالغ فيه.. أسأله دومًا عمّا يريد أن يأكله.. أتحمّله بجميع حالاته.. أتحمّل تجشؤه على طاولة الطعام.. و أتحمّل الجوارب المتّسخة التي يلقيها على سرير نومنا باستمرار.. ولكنّي الآن قد فاض كيلي وأعجز عن تحمّل المزيد.. أنت رجل وتفهم طريقة تفكير الرجال.. جد لي حلًّا".

قلت لها:

- "تكلّمي معه.. اشرحي له مشاعرك.. دعيه يشعر بمشكلتك.. اتركيه ليفكّر من خلالك أنتِ.. هذا هو الحلّ الوحيد.. إذا أحسّ بك وبمعاناتك.. سيتوقّف تذمّره وستسير الأمور بينكما على ما يرام"..

قالت في تفهّم:

- "هل تعتقد أنّ هذا هو الحلّ؟!"..

قلت لها مؤكّدًا كلامي:

- "نعم.. هذا هو الحلّ الوحيد"..

ردّت عليَّ شاكرةً وقد بدا لي تفهّمها الأمر:

- "شكرًا لكَ أخي.. آسفة على إزعاجك بمشاكلي"..

رددت بسرعة:

- "لا تشكريني.. فقط طمئنيني على نفسك.. و اتّصلي بي إذا حدث شيء جديد"..

أغلقت سماعة الهاتف..

ولم يمر بعدها سوى ثلاثة أيّام و اتّصلت بي..

كانت الساعة حوالي الرابعة فجرًا.. فتعجّبت من اتّصالها في هذا التوقيت..

لا بدّ أنّ مشاجرةً ثانيةً حدثت بينها وبين زوجها..

وكان الأمر عكس ما توقّعت..

كانت هذه المرّة متفائلة.. أرى سعادة الدنيا في نبرة صوتها..

قالت لي وهي تضحك:

- "شكرًا لكَ.. لم أكن سأنجح في شيءٍ لولا نصيحتك.. مشاكلي كلّها انتهت.. لقد نفّذت ما قلته حرفيًّا.. جعلته يعيش نفس إحساسي.. جعلته يعيش مشكلتي"..

رددت وقد غمرتني السعادة بسبب نجاحي في حلّ مشكلتها..

- "سعيد لسماعي هذا.. هل هو في المنزل الآن أم بالخارج؟!"..

ردّت قائلة:

- "هو نائم كالأطفال الآن.. لن توجد مشاكل معنا مجدّدًا..

لحظة واحدة..

لقد استيقظ.. سأذهب إليه.. لا تغلق الهاتف.. انتظر قليلًا"..

انتظرت على الهاتف.. صمت قصير.. تبعه صوت ضحكات (غيداء) التي أمسكت بسماعة الهاتف مُكملةً حديثها:

- "هو الآن قد استيقظ.. لكنّي خائفة".

رددت في استغراب مشوب بالحذر:

- "ماذا فعلتِ بالضبط؟!".

ردّت وقد تغيّرت طريقة كلامها وأصبح صوتها أقرب للجنون:

- "لا شيء.. أليست هذه نصيحتك؟! أن أجعله يشعر بما أشعر به"..

ثُمّ أردفت مُكملةً حديثها:

- "فقط بعض المُنوّم في العصير.. وعملية جراحية صغيرة كفت بالغرض.. الآن أصبحنا سواء"..

تركت سماعة الهاتف تسقط من يدي..

و أنا أتخيّل المنظر المثير للغثيان..

وكان آخر ما سمعته قبل تركي الهاتف..

هو صوت صراخ رجل وضحكات (غيداء) المتقطّعة..

تلك الفتاة التي لم تعد كما كانت..

عقد عمل

دلف الزوج ذو الساق المبتورة إلى داخل منزله مُتوكِّأً على عكّازه الخشبيّ الذي جعله بديلًا لساقه المفقودة التي تسبّب مرضه بالسكّر في بترها، وأخذ يجول بنظره داخل أركان منزله المليء بالفوضى، والذي خلا من معالم التكنولوجيا الحديثة بتاتًا، إلّا من راديو عتيق موضوع فوق دولاب خشبي صغير يحتوي على بعض الأطباق وأدوات الطهي المصفوفة بعشوائية داخله، قبل أن تستقر عيناه على تلك الدكة الكائنة في أحد الأركان والتي كساها فراش من نوع (الكليم) رقدت عليه زوجته متوسدة إحدى يديها كوسادة لها، وقد انكمشت في نومتها من شدّة الصقيع بسبب عدم وجود غطاء يحميها من تيار الهواء النافذ من بين فتحات السقف الجريدي المتهالك.

كانت زوجته لم تشعر بقدومه، فاتّجه نحوها جالسًا على المساحة التي تبقّت شاغرة منها وأخرج من جيب عباءته علبة من الصفيح وشرع في لف لفافة تبغ له وهو يلكزها بمرفقه لتستيقظ مذعورةً مُتثائبةً وهي تنظر إليه قائلة:

- متى عدت؟!

أجابها زوجها وهو يشعل سيجارته مُتنفّسًا بعض دخانها في رضا:

- منذ قليل.. لقد كانت رحلة شاقة فعلًا خصوصًا مع ذلك الطقس السيئ بالخارج..

أومأت الزوجة برأسها مُتفهِّمةً وهي تسأله:

- هل وُفّقت في الأمر؟!

هز الزوج رأسه بالإيجاب وهو ينفض رماد لفافة التبغ على الأرض وقال:

- في البداية لم يقبلوا ابنك لديهم.. ولكنّي أقنعتهم أنّ ابننا هو أنسب شخص لتولّي مثل هذا العمل.. المشكلة أنّ ابننا الآخر أضناهم تعبًا قبل ذلك، وهو ما أثار حفيظتهم منّا بعض الشيء، ولكنّي أخبرتهم أنّها حادثة فردية ويجب ألّا يُصدروا حكمهم من أجل حادثة فردية.. الخلاصة أنّهم في النهاية قبلوا الأمر على مضض.

تهلّلت أسارير الزوجة من فرط السعادة وقالت وهي تربت على جيب زوجها:

- كم كان ثمن التعاقد معه هذه المرّة؟!

مطّ الزوج شفتيه وقال وهو يخرج رزمة نقود من جيبه موضوعة داخل كيس بلاستيكي بالي:

- مبلغ قليل نسبيًّا بالمقارنة مع طبيعة العمل، ولكنّي أظنّ أنّه إذا اقتصدنا قليلًا في نفقات المنزل فسيكفينا ذلك المال لعام كامل..

أخذت الزوجة تتحسّس الرزمة المتخمة بالنقود ثُمّ نظرت لزوجها قائلةً في إشفاق:

- ألم يبكِ الطفل هذه المرّة؟!

ردّ الزوج بصوتٍ حانٍ في محاولة للتخفيف من حزن زوجته:

- لا على العكس تمامًا.. لقد كان مفعمًا بالسعادة.. صاحب العمل شيخ طيّب القلب.. استطاع كسب ود الفتى عن طريق بعض الحلوى، وأنا قد وعدت الطفل أنّي سأزوره كلّ فترة..

مالت الزوجة وطبعت قُبلةً على جبين زوجها هامسةً في دلال:

- جيّد أنت في الكذب يا عزيزي.

أطلق الزوج ضحكةً عاليةً ثُمّ قال:

- نعم.. المهم أنّ الشيخ صاحب العمل قد ذكر لي اليوم أنّه سيستقر في مصر لمدّة خمسة أعوام فقط.. يجب أن نستفيد من هذه الفرصة بأكبر قدر ممكن.. لقد كانت صدفة سعيدة الحظ أن نلتقي بذلك الرجل القادم من المغرب والذي يعمل في مجال استخراج الكنوز.. أنتِ تعرفين أنّ تلك المقابر الفرعونيّة تكون دومًا مُتعطِّشة لدماء الأطفال لكي تفتح.. لقد بعنا له ثلاثةً من أطفالنا حتّى الآن وتبقّى معنا طفلان.. أقترح أن نُسلِّمهم إليه قبل أن ترحل تلك الفرصة الثمينة إلى الخارج.

هتفت الزوجة بزوجها في أسى:

- ومن أين سنعيش بعد ذلك؟!

بدا التأثُّر على وجه الزوج وهو يقول:

- لا تقلقي سنجد بالتأكيد مخرجًا آخر من ذلك الفقر..

ثُمّ أردف وهو يتحسّس بطن زوجته الممتلئ بحمل جديد:

- وحتّى هذا الحين سننجب أطفالًا كثيرة.. لا.. بل توائم.. يجب أن نستفيد من هذا الوقت بأكبر قدر ممكن.. ثُمّ هل نسيت أنّه لم يتبق لكِ سوى ثلاثة أعوام فقط وينقطع عنك الطمث.

السفاح

"هويدا ونسرين وسارة كانوا من ضمن الذين قتلتهم وربّما هي"..

تسألوني عن سبب عدم رغبتي في الإفصاح عن الأخيرة، ما دمت قد اخترت الإفصاح عن جميع جرائمي طواعيةً..

لا أعرف!

فلنقل أنّه نوع آخر من ألعاب الأحجيات، هناك دومًا قطعة أخيرة لتكتمل الصورة، وإن كنت أظنّ أنّها لن تكتمل ما دمت أنا على ظهر العالم وهذه القطعة كانت هي..

ثلاث سنوات والعالم يحاول البحث عن السبب دون جدوى. وإن ظنّوا أنّه قد يكون السبب وراء ذلك قاتلًا غريب الأطوار ربّما تكون قد خانته فتاته فقرّر الانتقام من جميع النساء، ولكنّهم لم يقتربوا من الحقيقة إطلاقًا، وإن ظلوا يتساءلون حول السبب الذي يدفع أحدهم إلى استخدام أسلوب بدائي كالخنق في قتل الضحية..

نعم.. كلّ العلامات تشير إلى أنّ الضحية ماتت خنقًا، الكدمات البيضاوية الدائرية الشكل، والكدمات حول الشرايين السباتية وكسور العظم اللامي، كلّها أعراض للخنق لا يمكن أن يخطئها أحد..

هكذا لم يعد يمر يوم إلّا وتسقط ضحية جديدة في أكثر من مكان، لتشير يد المجتمع إلى ذلك القاتل القاسي عدو المرأة، حتّى فوجئوا في أحد الأيّام

باسم (رياض موسى) يتصدّر الصفحة الرئيسية في الصحف كافّة مشيرين إليه على أنّه القاتل..

كلّ الأدلة كانت تشير إليه، الضحايا الأولى كانت هناك صلة وثيقة بينهم وبين (رياض)، هويدا كانت زوجته ونسرين كانت زميلته في ذلك المركز العلمي الضخم الذي يعمل فيه، وعلى عكس المعتاد في سير التحقيقات، اعترف الرجل بجرائمه كاملةً وألقى في جعبة العالم الحقيقة المُروِّعة عن عدد ضحاياه البالغ عددهن تسعون ضحية، لينتفض العالم بعدها طالبًا القصاص من ذلك القاتل عديم الإحساس الذي وارى بنات حواء التراب، وكاستجابة لرغبة الجميع نُفِّذ حكم الإعدام على الرجل وبنفس الطريقة التي استخدمها لقتل ضحاياه..

وتصدّر خبر تنفيذ حكم الإعدام على سفاح النساء الشهير جميع صحف اليوم التالي، ليهدأ بعدها الجميع وقد ارتسمت ابتسامة الرضا على وجوههم، وإن خاب ظنّ بعض المتزوّجين بعد إعدام هذا القاتل، وقد كانوا يمنّون أنفسهم بأن تكون زوجاتهم هن التاليات..

إلّا أنّه لم يلبث أن زالت تلك الابتسامة التي علت وجوههم، بعد أن استيقظوا صباح ذات يوم على فاجعة سقوط ضحية جديدة..

ليبدأ بعدها تعداد الضحايا في الارتفاع..

ضحية تلو الأخرى، كلّهن من النساء، وكلّهن مُتن خنقًا..

هكذا بدأت الهمهمات تسري بينهم، مُؤكِّدين أنّها عصابة دولية يرأسها مجنون هدفه انقراض ذوات الأربعة والعشرين ضلعًا من العالم، ولكنّهم كانوا مخطئين تمامًا..

طوال تلك السنوات كنت أراقب ذعرهم وكل خلاياي ترقص طربًا لحيرتهم..

منذ ثلاث سنوات كانت البداية..

عندما ضرب ذلك النيزك تلك البقعة الخالية من الصحراء الغربية، حينها حمد المسئولون الله أنّ هذا النيزك لم يضرب منطقة مأهولة بالسكّان، وشكّل الباحثون على غرار ذلك لجنةً لاستكشاف ودراسة طبيعة هذا النيزك، وكان من ضمنهم (رياض)..

وبينما هم منشغلون بدراسة تركيب هذا النيزك وما يحتويه من عناصر غامضة، كنت أنا منشغلًا بالبحث عن جسد عائل لي، نعم إنّه أنا.. أوّل فيروس عاقل مفكّر قادم من ما وراء المجرة..

حين رأيت (رياض) علمت أنّه قد وقع اختياري على الشخص الصحيح، كان يملك جسدًا خاليًا من الأمراض والفيروسات التي يمكن أن تتبلور معي أو تتّحد منتجةً فيروسًا آخر ضعيفًا عديم القيمة.. نشطًا متيقّظًا، بالتأكيد أقصد (رياض) وليس الفيروس، لم أكن سأقبل بالطبع أن أسكن جسد شخص يقضي أغلب وقته أمام تلك الآلة التي يُسمّيها البشر (التلفاز)، لأنّ ذلك كان سيثير حنقي فعلًا..

لم تكن مهمة دخولي إلى جسد (رياض) صعبة، الإهمال وعدم الخبرة يمكن أن يُعرِّض أيّ شخص للإصابة بالفيروسات، بمجرّد دخوله إلى نطاق التأثير الخاص بي كنت أنا داخل جسده عن طريق الهواء الملوّث الذي استنشقه..

لأقضي بعدها تلك الفترة التي تُسمّونها أنتم بفترة خمول الفيروس و أنا أراقب البشر محاولًا فهم طريقة تفكير هذه الكائنات التي لم نكن نعرف عنها شيئًا أو نؤمن بوجودها..

عرفت عنهم كلّ شيء، طباعهم وطرق تفكيرهم وحتّى مشاعرهم، وعلمت أنّه عندما يفرز الجسد العائل هرمون (الأدرينالين) يكون خائفًا، وعندما يفرز هرمون (الأوكستيوسين) يكون العائل في حالة حب..

كنت في الفص الأمامي من مخ ذلك البشري أبحث عن ماهيته وتكوينه عندما بدأ هذا الهرمون الجديد يسري في عروقه وشرايينه..

انتقلت إلى تجويف العين في سهولة أراقب الموقف، لأرى ذلك البشري يواجه أسوأ موقف يمكن أن يواجهه أحد من أبناء جنسه..

خيانة!

وخيانة من؟!

زوجته، أقرب الناس إليه، وسكنه المختار..

علمت فيما بعد أنّه أثناء لهوي داخل ثنايا عقله، كان هو يعبث داخل هاتف زوجته حائرًا يملؤه الشكّ، هكذا وجد تلك الرسائل من ذلك الخائن وإليه، وهكذا واجهها لتختار هي عدم الإنكار، ونختار نحن قتلها. نعم..

أتكلّم بصيغة الجماعة، لأنّ ذلك الرجل الضعيف الخائف لم يكن ليقدم على فعل ذلك لولا إحكام سيطرتي عليه وتحفيزي له على القتل، ألم أقل لكم أنّني راقبت الكثير من البشر وتعلّمت الكثير عن طباعهم وبالأخص مشاعرهم..

هكذا جعلته يقرر بعد ذلك رغمًا عنه الانتقام من كلّ من توسوس لها نفسها على ارتكاب الخطيئة..

طوال ثلاث سنوات عاصرت سقوط الكثير من الضحايا..

ضحية تلو ضحية تلو ضحية.. ليسقط الجسد العائل بعدها، وأستقر أنا على المهمة التي سأؤديها طالما بقيت في هذا العالم..

ملايين بل مليارات من الفيروسات يمكن أن أنقسم إليها، لتستوطن جسد كلّ امرأة في هذا العالم..

المهمة سهلة للغاية، يكفي انتقالي من جسد مُنفّذ الحكم إلى زوجته لتنقله هي بعدها إلى صديقاتها لأنتشر أنا في العالم كسرٍّ قيل بين نسوة، مُهلكًا الكثير من الفتيات دون تمييز بين عرق ولون، تاركًا على رقابهن نفس العلامات الغامضة تخليدًا لذكرى ذلك البشري الذي اختاره أوّل فيروس عاقل متطوّر كجسد عائل له..

وحين أملّ من اللعبة و أقرر مغادرة ذلك العالم..

سأتركه بلا خطيئة..

ومن المحتمل إلى حدٍّ كبيرٍ أن يكون بلا نساء..

وربما يكون عالمًا بلا هي..

الموتى الزّاحفون

أخذ ينفث دخان (الشيشة) في استمتاع لم يخلُ من مرارة وأسى حول ما آل إليه حاله..

صحيحٌ أنّه استطاع من خلال جلوسه على المقهى أن يكتسب كمًّا كبيرًا من الأصدقاء، لم يستطع أن يكسبه طوال فترة عمله في القطاع الحكومي..

وصحيحٌ أنّه أصبح الملاذ الآمن له للهروب من شجاراته المستمرة مع زوجته، لكنّه غيرراضٍ عن الوضع بتاتًا..

قهوة المعاشات..

ذلك الأمرلم يفكّرفيه إطلاقًا..

لو كان اختار مجال التجارة منذ البداية، لكان الآن معلِّمًا له (شنة ورنة)، ويعمل لديه خمسة صبية على الأقل، يأمروينهي فيهم في حين يظل هو جالسًا على كرسيه مستمتعًا بدخان (الشيشة) كسلطان زمانه..

ولكن ها هو يقضي آخر أيّامه هنا منتظرًا أن تُسلّم الأمانة لخالقها و...

- عم سعيد.. هل هناك مشكلة ما؟

انتزعه صوت (محمود) ذلك الشاب المثقّف الذي يُذكِّره بشبابه و أيّام عنفوانه، من دوّامة الأفكار التي توشك أن تعصف بذهنه، فنظر له بعينين أنهكهما الزمن قائلًا في هدوء:

- لا شيء.

هتف (محمود) في استنكاروقد عقد حاجبيه:

- كيف؟! طوال ربع الساعة الأخيرة و أنا أحادثك و أنت لم تبدِ أيّ دلالة على سماعي، لتشرب فنجانًا من القهوة على حسابي، واطرد مشاكلك بعيدًا، هذا المكان صنع من أجل المرح والتسلية وليس لاسترجاع الذكريات..

أومأ الرجل برأسه في صمت دون أن ينبس ببنت شفة وهو ير اقب ذلك الشاب الذي استطاع بفطنةٍ سبر أغواره، وهو يطلب من صبي المقهى فنجانًا من القهوة مع حجرٍ إضافيّ.. نازعًا (جهاز التحكّم) من جيب الفتى في خفة يدٍ دون أن يشعر الأخير بها، لينظر إليه بعدها غامزًا بعينه في ضحكٍ وهو يقول:

- خفة يد.. أضمن بها مستقبلي..

ابتسم (سعيد) لدعابته، ليسأله الأخير وهو يُقلّب قنوات التلفاز مُتوقّفًا عند قناةٍ تعرض أفلامًا أجنبية:

- هل تحب أفلام الرعب؟

ردّ عليه (سعيد) وقد تعجّب من سؤال الفتى الخارج عن السياق:

- الحقيقة أنّني لا أعرف، لم أجرب مشاهدتها مسبقًا لأعرف إن كنت سأحبها أم لا، إنّ آخر عهدي بأفلام الرعب هو فيلم (إسماعيل يس في بيت الأشباح)، أمّا عن أفلام هذه الأيّام فلم أجرب مشاهدتها مسبقًا، أبنائي مولعون بمشاهدة مثل هذه الأفلام لكنّ زوجتي تنهرهم دومًا، مخبرةً إيّاهم بأنّ هذه الأفلام كفر والعياذ بالله وأنّ على القنوات التوقّف عن بثها حتّى لا تفسد عقول المشاهدين.

انفجر (محمود) ضاحكًا وهو يلكز العجوز في رفقٍ محترمًا كبر سنه، محاولًا أن يتمالك نفسه من نوبة الضحك التي ملأت عينيه بالدموع ليقول:

- إسماعيل يس! إنّه فيلم كوميدي سيّدي، نشاهده نحن معشر الشباب عندما نريد أن نضحك، إنّني أحدثك عن أفلام الرعب الحديثة، الأفلام التي تحقّق إيرادات بالملايين، أفلام الرعب النفسي ومصاصي الدماء والرعب المعوي، الأفلام التي تزخر بالعديد من مشاهد قطع الرؤوس وتمزيق الأوصال، الأفلام التي لو شاهدها شخص عادي لبال في بنطاله رعبًا.

أومأ العجوز برأسه بإيماءة تحمل عدم الفهم أكثر ممّا تحمل الفهم، ليستطرد الشاب مواصلًا كلامه قائلًا:

- يجب عليك متابعة هذا الفيلم، ستندم إن لم تفعل، إنّه يعرض لأوّل مرّة، بالنسبة لي فأنا أنتظره منذ بدأوا يعلنون عنه في التلفاز، خصوصًا مع تلك الضجة التي صاحبته، يزعم صاحب قصة الفيلم أنّه مبني على أحداث حقيقية.

سأله عم (سعيد) في محاولةٍ منه أن يجاري الشاب في حديثه:

- ما اسمه؟!

أجابه الشاب وقد اتسعت عيناه في حماس، يصحبه تطاير بعض الرذاذ من فمه عفوًا:

- (الموتى الزّاحفون)!

همّ العجوز بقول شيء لولا أن قاطعه الشاب وهو يشير إلى شاشة التلفاز الضخمة:

- لقد بدأ!

نظر (سعيد) إلى شاشة التلفاز التي ظهرت عليها تلك العلامة الشهيرة لشركة الإنتاج الهوليودية الشهيرة ليبدأ بعدها الفيلم وتتوالى الأحداث..

طوال مائة وعشرين دقيقة مدّة الفيلم وهو عاجز عن النطق بكلمة فقد كان وما زال يكره منظر الدماء، حتّى عند ذهابه لشراء كيلوجرام أو كيلوجرامين من الدجاج كإحياء لعادة الأسرة الأسبوعية، يحاول أن يصرف نظره بعيدًا عن عملية الذبح.

أخذ العجوز يتابع أحداث الفيلم في خيفة وتوجّس استطاع بالرغم منهما أن يستشف أحداث الفيلم الذي يتحدّث عن رجل فقير أصيب ابنه بمرض نادر في العظام، وبسبب فقر الرجل ونكول الناس عن مساعدته أصبح الطفل ذو عشرة الأعوام قعيد كرسيه المتحرّك حتّى مات، ليصيب الأب الجنون بعدها ويقسم على الانتقام من المجتمع الذي تقاعس عن مساعدته عن طريق خطف الناس وتهشيم عظامهم ليتركهم بعدها في مكان مهجور يزحفون في ألم إلى أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة.

كان الشاب يلقي بين الحين والآخر نظرةً إلى العجوز الغارق بين طيات مشاهد الفيلم، إلى أن ظهرت الشاشة السوداء المكتظة بالأسماء تعلن نهاية الفيلم، ليضرب (سعيد) بعدها بكفيه على فخذيه ناهضًا مخاطبًا الشاب:

- سأرحل الآن.. الوقت قد تأخّر والجو بارد، عظامي لن تستطيع تحمّل كلّ هذا الصقيع.

نهض (محمود) بدوره مصافحًا الأخير وهو يمازحه قائلًا:

- أرجو ألا يكون الفيلم قد أخافك، لأنّه كما سبق أن ذكرت لكَ مبني على أحداث حقيقية، وغدًا سيعرضون فيلمًا آخر لذا حاول أن تبقي حيًّا.

ردّ (سعيد) في صوت واهن:

- سأحاول ذلك.

غادر (سعيد) المقهى وهو يعلم أنّ أمامه طريقًا طويلًا ليقطعه ماشيًا على قدميه وسط كلّ هذا البرد القارس، لو كان ميسور الحال لركب سيّارة أجرة مُزيحًا عن قدميه هذا العناء، ولكنّه يجب أن يوفّر كلّ مليم لأجل نفقات بيته.

هكذا قرر اختصار المسافة مرورًا عبر المقابر مُتّجهًا إلى منزله، صحيحٌ أنّ قدميه ترتجفان، وصحيحٌ أنّ مشاهد هذا الفيلم الذي شاهده للتّوّ تتداعى إلى ذهنه، لكنّ اختصار المسافة إلى النصف يوجب التفكير.

أخذ يمشي في بطء وتوجّس بين شواهد القبور التي استطاع تمييز الأسماء المكتوبة عليها في صعوبة، هنا يرقد المغفور له (فلان)، هنا ترقد المرحومة (علانة)، بعض الأشخاص المدفونين هنا كان يعرفهم في وقت مضى والآن هم أصبحوا ذكرى في انتظار يوم يبعثون.

- سعيييييد..

التقطت أذناه ذلك الصوت الذي يهتف باسمه فتطلّع حوله مُتلفِّتًا ليجد المكان خاليًا تمامًا إلّا من بعض الكلاب الضالة التي افترشت الأرض في ركن بعيد عنه نسبيًّا مصدرةً بعض النباح بين الحين والآخر دلالة على فرض النفوذ.

ربّما يكون عقله من افتعل هذا الصوت، إنّ أفلام الرعب ممنوعة لكبار السن ومرضى القلب لهذا السبب، لو كان سيذهب لهذا المقهى غدًا، فيجب عليه أن يخبر (محمود) هذا ألّا يجبره على مشاهدة مثل هذه الأفلام معه ثانية.

- سعيييييييييد..

سمع العجوز الصوت ثانية، هذه المرّة كان عاليًا، جليًّا، خائفًا، ولكنّه استطاع تحديد مصدره، هذا الصوت يصدر من هذا المكان وليس من داخل عقله وبالتحديد من ذلك القبر الذي يبعد عنه بضعة أمتار.

(هذا الفيلم مبني على أحداث حقيقية)

قفزت عبارة ذلك الشاب في عقله فلعنه في قرارة نفسه، محاولًا أن يشغل عقله في موضوع آخر، لو مات الآن في هذا المكان فلن يجدوا جثته إلّا في الصباح، وسيكون عليهم أن يجمعوا أشلاءه من أكثر من موضع بعد أن تكون تلك الكلاب التي تسكن هذا المكان المقفر قد مزّقته.

حاول أن يقنع نفسه بأنّ هذا كله ما هو إلّا أوهام نسجها عقله فلم يزده ذلك إلّا خيفة، قطرات من العرق البارد تجمّعت على جبينه، مع ضيق في التنفّس وثقل في الصدر يزن أطنانًا، كلّها أعراض مر بها، ولو رآها أيّ طبيب لعلم أنّه يعاني من ذبحة صدرية ولكنّ بطلنا لا يعلم هذا.

اقترب في شجاعة لا بأس بها من ذلك القبر في محاولة لاستكشاف الأمر، إلّا أنّ مبادرته تلك جاءت متأخرة وهو يشاهد بصعوبة وبأعين زائغة ذلك الكيان الذي يخرج زاحفًا من القبر وقد لوّثه التراب وهو يقترب في حركة دوديّة منه ممّا جعل قدميه تتسمّران في الأرض، شاعرًا بذلك الألم الحارق ينبش صدره وقلبه يوشك على الانفجار، وهو يسمع ذلك الكيان يردّد في صوت مبحوح:

- أنقذني أرجووووووك..

ليسقط (سعيد) بعدها مرميًا على الأرض..

******

(جزء من محضر تحقيق)

س: ما اسمك؟

ج: عوض عطا حسنين.

س: كم عمرك؟

ج: ٥٢ سنة.

س: ما صلتك بالمجني عليه؟

ج: هو ساكن في بلدنا يا بيه، ومين في البلد ميعرفش الأستاذ سعيد، دا كان موظف حكومة محترم.

س: كيف حدثت الو اقعة؟

ج: يا بيه أنا شغال تربي، اتصلوا بيا ناس وطلبوا مني إنّي أحفر قبر، عشان كدا نزلت بالليل، و انا بحفر حسيت بدوخة ورجلي خدرت، اللي قالي بعدها الدكتور إنّها جلطة، فمعرفتش اعمل ايه، لحد ما لقيت الأستاذ (سعيد) معدي من المقابر على غير عادته، فقلت يمكن ربنا باعتهولي عشان ينجدني، ناديت عليه مردش، فزحفت يا بيه عشان أوصل له، قام الراجل يا عيني طب ساكت.

س: هل لديك أقوال أخرى؟

ج: لا يا بيه.. الله يرحمه.

أقفل المحضر في ساعته وتاريخه ويحال المجني عليه إلى الطب الشرعي لبيان وجود قصد جنائي من عدمه.

الشّقّة رقم ١٣

"احترس هذا الصندوق يحتوي أشياء قابلة للكسر"..

"حسنًا.. حسنًا.. يمكنك أن تضع المنضدة هناك"..

هكذا رحت ألقي توجيهاتي لهؤلاء العمّال الذين ينقلون الأثاث إلى شقّتي الجديدة..

أخيرًا تحقّق حلم عمري، شقّة مطلة على البحروبأرخص سعر!

لولا أنّ تلك السيّدة العجوز ستهاجر للخارج، لما تمكّنت من الحصول على هذه الشّقّة، بهذا الثمن البخس، هذه الشّقّة يمكن أن يشكل ثمنها رقمًا من خمسة أصفار، أنا حصلت عليها بأربعة أصفارفقط!

صفرواحد، شكّل صفقة رابحة..

أسأل العامل إن كانت المرآة قد كُسرت منهم أثناء النقل؟!

يهزرأسه نافيًا.

حسنًا.. حسنًا.. اليوم أنا في قمة السعادة.. لا يمكن لشيء بسيط أن يُنغِّص عليّ يومي.

سيجن جنون (عمرو ممدوح) حين يعلم بالأمر..

هو يسكن في نفس المنطقة، وقد كان يقول لي دومًا أنّه من المستحيل الحصول على شقّة في هذه المنطقة بذلك السعر!

أخرجت هاتفي الجوال من جيبي وبابتسامةٍ خبيثةٍ ترتسم على وجهي اتّصلت به..

جاءني صوته المرح الممتلئ بالحيوية يقول:

- كيف حالك يا صديقي؟! أرى أنّك لم تجد مناصًا من الرجوع للتحدّث معي، كنت أظنك غاضبًا من حديثي معك حول أسعار الشقق اليوم، أنا لا أغلق الأبواب المفتوحة ولكنّك صديقي، وكان يتوجّب عليّ مصارحتك..

قلت له في لهجة استسلام:

- فليكن.. لم يعد يهم!

ردّ عليّ وقد شعر بالدهشة من ردّ فعلي الهادئ:

- منذ متى كنت تتّسم بهذا القدر من القناعة؟!

جاوبته في هدوء زاده دهشة:

- سأقنع.. لأنّني حصلت على مرادي بالفعل..

- ماذا تقصد؟!

جاوبته في سعادة:

- أقصد أنّني حصلت على شقّة بالفعل، في المكان الذي أريده وبسعر أقل!

سألني في دهشة:

- كيف؟! أنا أعرف أسعار الشقق في هذه المنطقة، والمبلغ الذي تملكه لا يمكن أن يشتري غرفةً فارغةً فيها، ربّما كان الأمر يحوي خدعةً ما، هل تأكّدت من جميع الأوراق المتعلّقة بالشقة؟!

- نعم.. تأكّدت من كلّ شيء، تسلسل الملكية، ليس عليها نزاع، دعوى صحة توقيع بحكم بات، توثيق في الشهر العقاري، كلّ شيء..

- هل يمكنك أن تذكرلي عنوان الشّقّة!

تردّدت للحظة قبل أن أجيبه في سعادة:

- شقّة رقم (١٣) العقاررقم (٧)..

أتاني صوته عبر الهاتف مرتجفًا ممتزجًا بجدية:

- صديقي.. لا أريد أن أكدّر عليك فرحتك.. ولكني أنصحك بترك هذه الشّقّة.. إن كانت هناك إمكانية لاستعادة النقود فاستعدها.. أو اعرضها للبيع..

قلت في سخرية:

- لماذا هل بها عفريت؟!

ردّ عليّ في صوت أقرب إلى التوتّروالرعب:

- نعم.. كلامك صحيح.. تلك الشّقّة سيئة السمعة.. هناك أقوال تتردّد حولها.. يقولون أنّها مسكونة بالأشباح..

هكذا أنهيت الاتصال..

لم أرغب في سماع كلامه السخيف أكثر من هذا.. كان خطئي أصلًا أنّني اتّصلت به، ثُمّ ما في الأشباح؟!

إنّهم لطفاء جدًّا.. ناهيك أنّ عدد الأموات أكثر بكثير من عدد الأحياء، لذلك من الطبيعي أن تجد العالم يعجّ بهم..

- لقد انتهينا سيّدي.. حسابي وحساب العمّال..

انتزعني صوت ذلك العامل من سيل الأفكار المنهمر داخل عقلي.. قمت بدس بعض الأوراق النقدية في يده ورحت أتأمل منظر الشّقّة بعد أن امتلأت بالأثاث..

إنّها رائعة.. لولا تلك الشعيرات البيضاء التي وجدت طريقها في رأسي لقفزت فرحًا كالأطفال..

فتحت نافذة الشرفة لأشاهد الشاطئ الذي أضفى عليه غروب الشمس سحرًا وجمالًا، لأسمع بعدها صوت (فيروز) يغني (شط إسكندرية) فشكل موسيقى تصويريّة ممتازة للمشهد!

إنّه الكمال بحق..

أخرجت الكرسي المصنوع من أخشاب البامبو، وجلست عليه مسندًا ظهري إلى المقعد الوثير ورحت أُعبّئ صدري بالهواء المشبّع باليود، وأنا أرى تينك الفتاتين اللتين تقفان في شرفة البناية المقابلة، تتهامسان في خبثٍ وهما تشيران في اتّجاهي..

يبدو أنّ الأيّام المقبلة ستكون رائعة..

أنا مُتأكّد أنّني سأحصل على رقم إحداهما قريبًا..

- يريدني أن أتخلّى عن كلّ هذا؟!

هكذا همست لنفسي وأنا أحاول أن أطرد الهواجس التي يثيرها تذكّر كلام هذا الشخص لدي.. بعدها لم أدرِ صراحةً كيف استغرقت في النوم؟!

كلّ ما أعرفه أنّني استيقظت على مواء ذلك القط..

قبيح الشكل.. مفقوء العين.. ربّما يكون قد تسلّل إلى الشرفة عبر ماسورة صرف أو ما شابه ذلك..

أعتقد أنّه قط ضال من قطط الشوارع، أستبعد أن يكون خاصًّا بأحد الجيران، لا يمكن لشخص أن يأوي مثل هذا القبح في منزله..

هكذا ركلته بقدمي.. ورحت سريعًا أُحكم إغلاق أبواب الشّقّة حتّى لا يعتبرها ذلك العابر حقًّا مكتسبًا له..

لا أدري لِمَ شعرت بالاستياء بعد مشاهدة ذلك القط قبيح الشكل..

اعتبرته نذير شؤم وفألًا سيئًا..

ولكنّي راجعت نفسي..

لم يقترف القط ذنبًا سوى أنّه لبّى نداء الطبيعة.. حاجته إلى المأوى والطعام كانت أقوى..

هنا دقَّ جرس الباب..

أجفلت للحظات، لأنظر نحو الساعة التي تعلن أنّها الواحدة بعد منتصف الليل..

وجررت قدميَّ جرًّا نحو الباب طاردًا بقايا النعاس التي ما زالت عالقة بداخلي وفتحت الباب..

لا يوجد أحد!

ربّما كان طفلًا يمارس دعابة دقِّ الجرس ثُمّ الهرب مسرعًا..

يعتبرونه نوعًا من الاستقبال الحافل بالسكّان الجدد..

أغلقت الباب في قوّة، ورحت أقهقه بعصبيةٍ قائلًا:

- دعابات تثير الخيال حقًّا.. المشهد السينمائي سيكتمل بـ...

وقبل أن أتمّ عبارتي الأخيرة ساد الظلام في المنطقة بأكملها..

فأتممت عبارتي في سخريةٍ مريرة..

- بانقطاع الكهرباء..

كالمجنون رحت أبحث عن شمعةٍ ربّما أكون قد أحضرتها سهوًا أثناء عملية النقل، ولا أستطيع أن أصف فرحتي حين وجدتها..

نصف محترقة ولكنّها ستفي بالغرض..

- مااااااما..

هكذا سمعت الصوت الطفولي الذي قالها في صوت مخيف..

استعذت بالله من الشيطان الرجيم..

وحاولت أن أهدئ من روعي، مقنعًا نفسي أنّ مشكلة الشقق المتجاورة أنّك تشعر أنّ الجيران يعيشون معك في نفس الشّقّة..

رحت أنظر للهيب الشمعة التي ملأت الشّقّة بالظلال..

فلمحتها بطرف عيني، طيف أبيض لطفلة يتحرّك في أرجاء المنزل بعصبية..

- تلك الشّقّة سيئة السمعة.. هناك أقوال تتردّد حولها.. يقولون أنّها مسكونة بالأشباح.

تردّدت كلمات (عمرو) في عقلي، فارتجفت خوفًا لمجرد الفكرة..

رحت أتابع ذلك الطيف الذي يجول بحرية داخلًا غرفة تلو الأخرى وإن كنت حاولت التظاهر بالعكس..

أراها تنظر نحوي في ثبات، ثُمّ تتقدّم ببطءٍ فأحاول ألّا تتلاقى أعيننا مباشرةً، فأظل أراقبها بتلك الرؤية العسيرة، محافظًا على نفس وضع الرأس..

أراها تقترب أكثر، تتنفّس في وجهي فأشم رائحة الكبريت تحرق عينيّ..

تنوح بصوت موجوع:

- مااااااااما..

وتستدير لتتلاقى أعيننا..

أرى تينك العينين المفقوءتين وذلك الشعر الأسود الحالك..

تقترب لتهمس في أذني:

- أتدري.. أين ذهبت أمي؟!

أتبوّل في بنطالي من شدّة الخوف، في حين همست هي:

- ستفهم كلّ شيء..

كالضّابط الذي يشاهد كيفيّة ارتكاب الجريمة رحت أرمق المشهد..

الطفلة تعبث في أداة حادّة كعادة كلّ الأطفال الذين يتحرّقون شوقًا لتجربة الجديد.. تراها الأم فتعاقبها بحبسها في غرفةٍ منفردة، ناسيةً بإهمالها أن تسلب الطفلة سبب العقاب.. تستغل الطفلة الفرصة لتواصل لهوها بذلك المقص الحديدي المدبّب.. تشعر الطفلة بالوحدة والخوف..

فتجري نحو الباب محاولةً الخروج..

تسقط الطفلة على وجهها ليفقأ المقص لؤلؤتي الإبصارلديها نافذًا نحو المخ.. هكذا ماتت الطفلة..

وهكذا رحلت الأم تاركةً الشّقّة التي ارتبطت معها بأسوأ ذكرى.. موت فلذة كبدها.. وهكذا راح المشهد يتكرّر طوال الليل.. إغماءة أو إغفاءة التي أنهت كلّ هذا.. لا أدري..

فقط أفقت على جرس الهاتف في الصباح مبتلّ السروال، وصوت (عمرو) الهادئ هذه المرّة يقول:

- آسف صديقي.. كنتَ مُحقًّا، تمسّك بهذه الشّقّة مهما كانت الظروف..

كنتُ مُخطئًا بشأن الشّقّة..

الشّقّة التي أتحدّث عنها هي فعلًا الشّقّة رقم (١٣)..

ولكن.. في البناية رقم (٢٠)..

أعتذرلكَ بشدّة..

أغلقت الهاتف دون أن أنبس ببنت شفة.. و اتّخذت قراري..

بأن لا أعرف هذا الـ(عمرو ممدوح) ثانية..

وأن أعرض الشّقّة للبيع إن لم أتمكّن من استرداد أموالي..

إعلان صغيرسيفي بالغرض..

شقّة في هذه المنطقة وبهذا السعر..

لن يتردّد أحد في شرائها..

إنّها حقًّا صفقة رابحة..

لأبعد الحدود..

العينة المختارة

شرع الدكتور (أكرم) في تنظيم أنفاسه، وقد وصل شعور التوتُّر داخله إلى قمّة ذروته، وهو يتطلّع إلى تلك اللافتة الأنيقة التي احتلّت واجهة ذلك المبنى الضخم، الكائن في أحد أهم شوارع (القاهرة)، وأكثرها أمنًا واستقرارًا في الفترة الأخيرة، والذي عجّ بعشرات المقرّات للسفارات والجهات الأمنيّة والسياديّة المختلفة، وهمس في سخريةٍ وهو يقرأ الاسم المكتوب على اللافتة: (هيئة الانتخاب الطبيعي للمواطنين).

كان هذا هو الاسم الذي اتّخذته تلك الجهة، وهو اسم كان معروفًا لدى أغلبيّة المواطنين، وإن لم يجسر أحدٌ من قبل على دخولها نظرًا للإجراءات الأمنيّة المشدّدة هناك، والتي تحظر دخول هذا المكان دون تصريحٍ رسميّ، ولكنّه لم يكن يعير ذلك اهتمامًا بعد أن أُرسل إليه خطابٌ رسميٌّ، بضرورة حضوره إلى هذا المكان على نحوٍ عاجل.

عدّل بسرعةٍ من وضع رابطة عنقه، قبل أن يدلف في ثقةٍ إلى داخل المبنى، ليعترض طريقه بعض رجال الأمن، إلّا أنّه أخرج ورقةً صغيرةً فيها أمر استدعائه ناولها لقائدهم، الذي رمقه بنظرةٍ فاحصةٍ لجسده بالكامل قبل أن يعطيه الورقة مرّةً أخرى، وهو يقول في رسميّةٍ شديدة:

- القائد ينتظرك في مكتبه.

ابتسم الدكتور (أدهم) له في امتنان، وأسرع في خطواته صاعدًا السُّلّم في خطواتٍ رشيقةٍ مُتوجِّهًا إلى مكتب القائد بالدور الثالث، ووصل في أقل من دقيقة، ليناول الحارس الذي وقف على بوابة المكتب الخطاب مرّةً أخرى، الذي تفحّصه هو الآخر في نظراتٍ سريعةٍ قبل أن يدلف إلى الداخل ويغيب لثوانٍ، ويخرج مُشيرًا إليه في صمتٍ بالدخول.

وقف الدكتور (أدهم) بالداخل في ثبات، أمام رئيس الهيئة الذي كان في الخمسين من عمره، ضخم البنية، ذا شاربٍ كثّ، يرتدى بزّةً رسميّةً أضفت على هيئته مهابةً، والذي أشار نحوه بالجلوس؛ فجلس في هدوء، في حين قال الأخير وهو يراجع التقرير الموضوع على مكتبه:

- الدكتور (أدهم شبانة)، خمسة وأربعون عامًا، أستاذ الهندسة الوراثيّة بجامعة طنطا، متزوج من السيّدة (سمية عبد الفتاح)، ولديك ثلاثة أولاد: أسامة (ثلاثة عشر عامًا)، وأحمد (عشرة أعوام)، ومنى (ثمانية أعوام)، هل المعلومات التي أمامي صحيحة؟!

أومأ الدكتور برأسه في قلق، في حين أغلق الأخير الملفّ وتطلّع إليه في نظرةٍ ثابتةٍ وهو يقول في هدوء:

- لقد تقدّمت بطلب منذ شهر لكَ ولأسرتك من أجل ضمِّكم للعينة المختارة ولهذا تمّ استدعاؤك.

ارتجف الدكتور (أدهم) في خوف، ناظرًا لرئيس الهيئة في ترقُّب، الذي أردف:

- تقاريرك وتوصيات رؤسائك في العمل، أفادت بكفاءتك، وجهدك المبذول في سبيل تطوُّر البحث العلمي، وراعينا طبعًا مع ذلك التقرير الذي أرفقته مع طلبك والذي يُبيّن نسبة الذكاء الخاصّة بك، والتي تجاوزت الثماني والتسعين بالمائة، وهي نسبة مُرضية بالنسبة إلينا جدًّا، ولهذا أحببت أن أُهنِّئك و أبلغك بنفسي أنّك أصبحت معنا ضمن العينة المنتخبة.

ردّ الدكتور (أدهم) في غبطة:

- شكرًا جزيلًا يا سيّدي، أعدك أن أكون عند حسن ظنِّك بي.

ابتسم (المدير) ابتسامةً واسعةً وقال:

- هذا واجبنا يا دكتور، في ذلك الأمر تحديدًا لا توجد مجاملة لأحد أو محاباة، لو كان ثمة ثغرة في طلبك لتمّ رفضه بالتأكيد.

هز الدكتور رأسه امتنانًا في حين أردف الأخير في هدوء:

- ولكن!

انتفض جسد الدكتور (أدهم) بشدّة عند سماع عبارة الاعتراض الأخيرة وتطلّع للمدير في قلق، والذي فتح الملف الموضوع أمامه مرّةً أخرى وأردف:

- للأسف التقارير الخاصّة بأبنائك وزوجتك يا دكتور، متدنية للغاية، لذلك تمّ رفضها، تعلم جيّدًا أنّ الحدّ الأدنى لنسبة الذكاء للقبول ضمن العينة المختارة هي تسعون بالمائة، وزوجتك و أبناؤك لم يتجاوزوا هذه النسبة، لذلك فلا يوجد فائدة لنا من ضمِّهم للعينة المختارة، وكما ذكرت سالفًا فإنّ هذا الأمر بالذات لا يوجد فيه أدنى تحيُّز أو مجاملة.

هتف الدكتور (أدهم) في حدّة:

- ولكن يا سيّدي لا بدّ من وجود استثناءات، لن أستطيع التخلّي عن زوجتي وأولادي، وتركهم ينساقون نحو الموت، لا بدّ من وجود حلّ، إنّ الذي تطلبه مني ظلمٌ فادح.

ردّ (المدير) في هدوء:

- هذه هي القواعد يا دكتور، ولا توجد أيّ استثناءات لدينا، والظلم الذي تتحدّث عنه أصبح عالميًّا الآن واتّفقت عليه كلّ الدول، بل هو قمّة العدل من أجل الخروج من الأزمة الراهنة، الجهل والغباء هو ما أردانا إلى ما نحن فيه، موارد العالم كلّها على وشك النضوب وستصبح بالكاد تكفي القليل، والبشريّة كلّها عاجلًا أم آجلًا ستغرق في الفقر المدقع، ولهذا تمّ اللجوء لفكرة (الانتخاب الطبيعي) من أجل حلّ الأزمة وإرجاع الأمور إلى نصابها كما كانت، منذ عامين وبالتحديد في عام ٢٠٢٢، تقدّمت الولايات المتّحدة الأمريكيّة بالمشروع ضمن اجتماع شمل كلّ الدول المتحالفة منها والمعادية، كانت الفكرة تتلخّص في نشر فيروسٍ خاصّ، يتيح للشخص العيش لمدّة عشر سنواتٍ فقط، منذ إصابته للجسم، وأعتقد أنّ العالم الذي اخترعه كان رحيمًا إلى حدٍّ كبير، إذ ليس للفيروس أيّ آثار جانبيّة أو مضاعفات طوال فترة عشر السنوات، فجأة يتحوّل الفيروس الخامل المميّز بساعةٍ بيولوجيّةٍ ضمن صفاته في يومٍ وليلةٍ إلى قمّة نشاطه، ويفارق الشخص الحياة، أمّا ما قبل ذلك فإنّ الشخص يعيش حياته المعتادة والطبيعيّة، وطبعًا لاستمرار الحياة والبشريّة، تمّ تأسيس تلك الهيئات في كلّ الدول، التي تعمل على انتخاب الأشخاص الذين يستحقون المصل المضادّ،

وطبعًا لو تركنا الباب مفتوحًا على مصراعيه لعمّت الفوضى، وساءت الأمور أكثر ممّا كانت، لذلك تمّ وضع ضوابط خاصّة للقبول، مُعدّلات الذكاء، والحالة الصحيّة والنفسيّة، كلّها شروط من ضمن عشرات الشروط، التي يفرضها المشروع، الحياة يا دكتور لا تُوهب إلّا لمن يستحقّ، هذا هو شعار المشروع يا سيّدي، وهذا هو قمّة العدل بعينه.

هتف الدكتور (أدهم) مُحتجًّا:

- والأطفال!

أجاب (المدير):

- كلّ الأطفال لديهم الفرصة بالتأكيد، ولكن هناك شروط، نحن نجري للأطفال الاختبارات، إذا تخطوها يكونون منّا، ويحصلون على المصل، وإذا لم يجتازوها فإنّ تلك سنّة الحياة، وهذه الشروط لم تنشأ عبثًا، إنّها دراسات أنشأها متخصصون، نحن ندرس البوادر لديهم حتّى لا يكون هناك معولون في المجتمع الجديد، ولو وجد طفلٌ في قاع المجتمع لديه هذه البوادر فإنّنا سنقبله بدون أدنى تردُّد دون النظر لعرقه أو لطائفته.

سأله (الدكتور) مُستفهمًا:

- والعمل؟!

ردّ (المدير) وهو يناوله أمبولًا صغيرًا يحتوي على المصل:

- لديك الفرصة لإنجاب طفلٍ جديد، وسوف نخضعه للاختبارات، إذا تخطّاها سينضمُّ للمشروع وإذا لم يتخطَّها فحاول مرّةً أخرى، وبالمناسبة حافظ على المصل الذي أعطيته إياكَ جيّدًا، لأنّه لا يُصرف للشخص إلّا مرّةً

واحدة، لذا فهو بمثابة أكسير الحياة بالنسبة إليك، ولا تُفكِّر أيضًا في توزيع الجرعة على أسرتك، إنّ هذه الجرعة صنعت لشخصٍ واحد، وإذا تمّ اقتسامها بينك وبين أيّ شخصٍ فلن يكون لها أيّ فاعلية أو نتيجة.

هتف (الدكتور) مُستنكرًا:

- ولكن!

قاطعه (المدير) في لهجةٍ حازمة:

- إنّها القواعد يا دكتور (أدهم).

هتف الأخير في غضب:

- قواعد الظلم!

ردّ (المدير) في برود:

- سَمِّها ما تشاء يا دكتور، تلك قواعدنا وتلك شروطنا ولا ننوي التخلّي عنها، وعلى كلّ حال المقابلة قد انتهت.

*****

خرج الدكتور (أدهم) من المبنى غاضبًا، وقد اسودّت الدنيا أمام عينيه، شاعرًا بفقدان الأمل الوليد للتوّ، وركب سيّارته في سرعة، مغلقًا بابها بقوّة، وراح يرمق الأمبول الزجاجيّ الذي أعطاه إيّاه المدير في سخريةٍ شديدة.

نظر إليه لثوانٍ، قبل أن يضعه في تابلوه السّيّارة، ويُشغِّل مُحرِّكها لتتحرّك طاويةً الأرض من تحتها طيًّا، مُتّجهًا إلى شقّته الواقعة على أطراف المدينة.

حين دخل إلى شقّته كان الأولاد الصغار منشغلين باللعب، فاستغلّ الفرصة ودخل غرفة نومه، فتبعته زوجته (غادة) في هدوء، قبل أن تقف في مقابلته هاتفةً في قلق:

- قل لي أنّنا نجحنا.

جلس (أدهم) على حاشية السرير وزفر في ضيقٍ مُتحاشيًا النظر إلى وجهها وقال:

- كنتُ سأكون أسعد الناس لو استطعت قول هذا.

شهقت (غادة) في فزع، وهتفت بصوتٍ مرتجف:

- والأطفال؟!

ردّ (أدهم) في أسى:

- لقد مرّ عامان منذ أن بدأ عمل ذلك الفيروس اللعين، وتبقّى أمامنا ثماني سنوات، على الأقل لن نتعذّب فيها بالمرض، وربّما يكون الموت والرحيل بالنسبة إلينا ألطف من البقاء في هذا العالم القاسي.

غمرت الدموع وجه (غادة) وهي تقول:

- لا أخشى الموت يا (أدهم)، ولكن الأطفال! كنت أتمنّى أن يعيشوا جميع مراحل حياتهم، الطفولة والمراهقة والشباب والشيخوخة، كنت أتمنّى أن أرى أبناءهم، أحفادنا، كنت أتمنّى أن يروا أحفادهم، كنت أتمنّى أن يخططوا لمستقبلهم و أيامهم السعيدة المقبلة، لا أن يُساقوا جبرًا إلى نهايتهم المحتومة.

ردّ (أدهم) بصوتٍ اعتصره الحزن:

- كلّنا كنّا نتمنّى ذلك، ولكن ليس كلّ ما يتمنّاه المرء يدركه، وعلى كلّ حال أمامنا ثماني سنوات يمكن أن يحدث فيها الكثير، فقط اكتمي الأمر عن الأطفال، اتركيهم يلهون ويحلمون، لا توقظيهم من أحلامهم قبل الأوان.

نظرت إليه (فاتن) بعيون دامعة قبل أن تقول وهي تجاهد الابتسام:

- لله ما أعطى ولله ما أخذ.

شرع (أدهم) في مداعبة الأمبول الزجاجيّ في جيبه وقد شرد ذهنه بعيدًا، قبل أن يسأل زوجته في حيرة:

- (غادة)! لو أنّهم خيّروك لنجاة واحدٍ فينا فقط، من كنتِ ستختارين؟!

ردّت (غادة) في تلقائيّةٍ وهي تنهض تمهيدًا لتجهيز الغداء لزوجها:

- لم أكن سأختار أحدًا، كنتُ سأختار أن نموت معًا حتّى لا نفترق في الآخرة كما لم نفترق في الدنيا.

تابع (أدهم) زوجته وهي تخرج من الغرفة قبل أن يُخرج الأمبولَ الزجاجيَّ من جيبه ويتطلّع إليه في شرود لدقائق، ليسكب بعدها محتوياته داخل سلّة القمامة الموجودة في نفس الغرفة وقد أحسّ بهمٍّ ثقيلٍ انزاح من على صدره، لتدخل زوجته بعدها في نفس اللحظة مسرعةً تسأله:

- (أدهم) نسيت أن أسألك شيئًا! هل قُبلت أنت ضمن العينة المختارة.

صمت (أدهم) لثوانٍ، ونهض بعدها محتضنًا زوجته في حنانٍ هامسًا في أذنها وقد علت ابتسامة سعيدة وجهه:

- لم أُقبل، ولكنّني سعيد.. لأنّي اليوم اخترت الشيء الأهم بالنسبة إليّ.. اخترت العائلة..

رجل الحانة

- مساء الخير يا سيّدي، هل لي أن أجالسك؟!

قالها لي الرجل العجوز، الذي وقف إلى جوار طاولتي في تلك الحانة الصغيرة التي عرجت عليها بعد خروجي، أو لنقل (طردي) من منزل والد (نادية) الذي كنت قد قصدته بغرض خطبتها، والتي رفض والدها الأمر بتاتًا، بعد أن عرف أنّني بدون عمل ولا أملك بالكاد إلّا قوت يومي، وهو الذي يرغب في زوج ابنة يفتخر به وبسيّارته ورصيده في البنك، لا زوج ابنة يلقي على كاهله عبئًا إضافيًّا هو في غنى عنه لأجل كلمةٍ سخيفةٍ يُردِّدها الشباب فيما بينهم ويُسمُّونها (الحبّ).

- سيّدي، مرحبًا؟

كرّرها العجوز فنظرت إليه في شرودٍ فأردف وهو يشير نحو الكرسي الفارغ:

- ألن أضايقك.. إذا.. أقصد لو جلست بجوارك؟

أشرت إليه في صمتٍ أن يجلس، فجلس وقد غمرته السعادة لتلبيتي مطلبه، ورحت أتأمّله وقد كان كهلًا في الستين من العمر، امتلأ وجهه بمئات التجاعيد، وقد ارتدى قميصًا مخططًا بخطوط طولية، وبنطلونًا سقط إلى أسفل بطنه فأفسح مكانًا لكرشه الضخم المتدلي من أمامه، سألته:

- ماذا تشرب؟!

أجاب في ارتباك:

- المفروض أن أدعوكَ أنا يا بني إلى شراب، ولكن للأسف نسيت حافظة نقودي في المكان الذي أتيت منه، ولكن اطلب لنفسك مشروبًا فقط، فقد أقلعت عن الشرب منذ زمن.

طلبت من (النادل) زجاجةً من (بيرة) رديئة الصنع، نظرًا للظروف المادية القاسية التي أمر بها، أحضرها (النادل) على الفور وغادر بعد أن صبّ لي منها كأسًا، سكبتها في حلقي دفعةً واحدة، في حين نظر لي (العجوز) وقال:

- آه يا صديقي.. الخمر والنسيان.. كنت مثلك عندما كنت في عمرك، ولكنّ الأيّام أثبتت لي أنّ الدنيا قاسية جدًّا، ومرارتها أصعب من أن تنسيك إيّاها بحارٌ من الخمر.

نظرت إليه في سخرية، وقد بدا لي أنّ موشح هذيان العجائز قد بدأ، فقلت له في تملُّصٍ حتّى لا يبدأ في الثرثرة ويُحمّلني همومه بالإضافة إلى همومي:

- آسف يا سيّدي، فلستُ ذا بالٍ رائقٍ الآن لسماع أيّ شيء.

نظر (العجوز) لي في غموضٍ وقال:

- يشغلك موضوع (نادية). أليس كذلك؟ على كلّ حال. أنصحك بنسيانها لأنّ الأمر سيصيبك يا صديقي بالعذاب.. فقط العذاب.

هتفت به في حدّة:

- من أين لكَ العلم بالموضوع أيّها العجوز؟! هل تراقبني؟!

ضحك (العجوز) في سخريةٍ وقال:

- لست أراقبك أيّها الفتي، لأنّك لست ذا أهمية تستدعي الناس لمراقبتك، ولكنّي أعرف كلّ شيءٍ عنك منذ مولدك وحتّى الآن، أتعرف السبب؟!

نظرت له في فضولٍ فأردف وقد اتّسعت عيناه بشدّة:

- لأنّنا (أنا و أنت) نفس الشخص يا عزيزي، ولكن في زمنين مختلفين.

نظرت له في بلاهةٍ للحظات ثُمّ ضحكت في سخريةٍ وقلت:

- يبدو أنّ هذا المشروب من النوع الجيّد، لأنّه أفقدك عقلك على رائحته دون أن تشرب منه شيئًا.

تجاهل الرجل عبارتي الأخيرة وردّ في هدوءٍ وهو ينظر في عينيّ مباشرةً:

- اسمك (ناصر محمد عبد الكريم)، وُلدت في محافظة أسيوط في السادس والعشرين من أغسطس عام ١٩٩٠، أبوك كان يعمل فرّانًا هناك، ووالدتك هي سنية بنت الحاج عبد الرحمن المزارع البسيط، انتقل أبواك للإقامة في القاهرة بعد مولدك بخمس سنوات، خالتك كانت تحب أن تناديك بـ(هشام) لأنّ لها ابنًا قد تُوفّي وكان يشبهك، لديك وحمة كبيرة في ظهرك، ومُدرّسك المفضّل في المدرسة هو الأستاذ (أيمن إسماعيل) مُدرّس اللغة الإنجليزيّة، تحب محشي ورق العنب وتكره القلقاس الذي لا تكفّ والدتك عن طهيه، تعرفت على (نادية) في العام الأول من دراستك في الجامعة، وبالتحديد في الخامس والعشرين من فبراير عام ٢٠٠٨، التي نعتتك بالمعتوه حين قابلتك أول مرّة لأنّك.... هل تريدني أن أكمل؟

هتف (ناصر) في حيرة:

- كيف عرفت كلّ ذلك؟!

أجاب العجوز وهو يبتسم:

- ما حكيته لكَ هو تفاصيل حياتي يا صديقي، أمّا ما بعد هذه اللحظة فأنت لا تعرف عنه شيئًا، ولكَ الاختيار إن كنت تريد المعرفة أم لا.

ردّ (ناصر) في حيرة:

- وما علاقة (نادية) بما حدّثتني عنه؟!

أكمل العجوز:

- في تلك الليلة تحديدًا عرجت على تلك الحانة في محاولة لنسيان الصدمة الكبيرة التي تسبّب فيها والد (نادية) لك، وخرجت منها وقد وضعت خطّةً للهروب مع الفتاة بعيدًا والتزوُّج بها، بالطبع رفضت الفتاة في البداية، ولكن بعد كثيرٍ من الإلحاح و افقت الفتاة في النهاية، واتّفقنا أنّ موعد التنفيذ مساء الغد، وصلت الفتاة عند مدخل شارعها في الموعد المحدّد، وكنت أنا في انتظارها هناك، كان فكرتي هي اصطحابها إلى محافظة الفيوم حيث يقطن خالي وخالك أيضًا، ليتدبّر الأخير توفير مسكنٍ لنا... ولكن..

هتف (ناصر) في حدّة:

- ولكن ماذا؟!

أردف العجوز:

- بالرغم من أنّنا تزوّجنا، فإن غربان الكآبة سكنت منزلنا الذي كنّا نظنُّ أنّ طيور المحبّة ستبني أعشاشها فيه، أصبحنا في حالة شجار متواصلة، كان

تلقي باللوم عليّ بأنّني السبب في المعاناة التي تعيشها، وقالت أنّه لولاي ما كانت ستصير هاربةً كالساقطات، تسبّب الأمر في معاناةٍ شديدةٍ لي، وكنت أقضي أغلب يومي خارج المنزل هاربًا من نظراتها اللائمة، وكانت هي في أسوأ حالاتها النفسية في تلك الأيّام، حتّى دخلت المنزل ذات ليلة ووجدتها راقدةً على أرضية الحمام وقد قطعت شرايين معصمها وغرقت في دمائها.

صاح (ناصر):

- ماتت!

قال العجوز:

- للأسف المسكينة لم تتحمّل كلّ هذا الضغط النفسي، كان هناك حوار كبير يدور بينها وبين نفسها، واتّخذت قرارها وبسرعة، لذلك حدث ما حدث ولهذا جئت لتحذيرك، سير حياة كلينا متشابه ولكن أنت بإمكانك تغييره، إذا كنت تحب الفتاة وأنا متأكد من ذلك لأنّنا نملك نفس المشاعر، فاتركها في حال سبيلها، تَمَنَّ لها التوفيق يا صديقي، وأكمل حياتك، ما فشلت أنا في تفاديه في الماضي، يُعدُّ بالنسبة لك مستقبلًا تستطيع أن تُغيّره.

سأل (ناصر) وهو يرتجف من شدّة القلق:

- ولكن كيف وصلت إلى هنا، هل في زمنك أصبحت آلات السفر عبر الزمن منتشرة بهذه الكثرة؟!

ردّ العجوز:

- لاحظ يا صديقي أنّني تجاوزت الستين من عمري، أي أنّ الفاصل الزمني بيني وبينك يتجاوز الثلاثين عامًا تقريبًا وهي فترة ليس بالقليلة لأنّ

تقدُّم التكنولوجيا سيصبح أسرع ممّا تتصوّر، أعترف أنّ هذه التجربة في زمني أصبحت حكرًا على الأغنياء بسبب التكاليف المادية المبالغ فيها، ولكنّ الأمر كان يستحقّ إنفاق كلّ ما أملك للقيام بتلك التجربة، فربما إن تمكّنت من إنقاذها الآن بتحذيرك، فقد تنجو في زمني أيضًا ويتغيّر مصيرنا، وفي النهاية أنا لا يمكنني إجبارك على اتّخاذ قرارك، لذا فالخيار لك، وخيارك هذا سيؤثّر إمّا بالسلب وإمّا بالإيجاب في حياتك وحياتي.

نظر (ناصر) للعجوز في حيرةٍ وقال:

- حسنًا.

هتف العجوز:

- حسنًا ماذا؟!

أجاب (ناصر) في أسى:

- موافق.

ردّ (العجوز) في غبطة:

- أشكرك يا صديقي، كنت واثقًا من أنّك ستفعل، وثق أنّ ما فعلته هو الأفضل لمستقبل كلينا.

ابتسم (ناصر) في حزنٍ وهو يشاهد العجوز ينهض واقفًا، وهو يبادله الابتسامة قبل أن يتّجه نحو باب الحانة ويخرج مُختفِيًا عن مرمى بصره، في حين تصاعد هاتفه بالرنين، فنظر إلى شاشته ليجد اسم (نادية) عليه، ليتردّد للحظاتٍ قبل أن يتجاهل المكالمة كلّيًا مغلقًا هاتفه وهو يزفر في ارتياح.

****

(بعد مرور ساعة)

كان العجوز (كامل) جالسًا على ذلك المقهى الشعبي بـ(السيّدة زينب)، يلعب (الدومينو) مع بعض أقرانه الذين هم في مثل سنه تقريبًا، فجذب انتباهه سيارة فارهة سوداء اللون توقّفت أمامه وقد أنزل سائقها زجاجها الأمامي، فظهر وجهه بوضوح، نهض على أثر رؤيته (كامل) من مجلسه مستأذنًا من أصدقائه، بعد أن أمرهم بعدم استكمال الدور حتّى يعود، ودلف بسرعةٍ إلى داخل السيارة وهو يخاطب صاحبها في بشاشة:

- كيف حالك يا (مراد) بك؟

ردّ (مراد) بك في هدوء وهو يشعل سيجارة مُمتصًّا بعض دخانها في رضا:

- كيف سارت الأمور؟!

أجاب (كامل) في ثقة:

- كلّ شيء تمّ حسب الخطّة، أصدقك القول أنّني لم أكن مقتنعًا بنجاحها في البداية، ولكنّك بإصرارك دفعتني لتجربتها، وعلى كلّ حال أنا لا أملك من الرفض شيئًا، طالما ستعطيني المال مقابل ذلك فلا يهمني سخف ما تطلبه أو نوعه، ولو طلبت مني أن أخبر الناس أنّ (الفضائيين قد احتلوا غمرة) لهمت على وجهي هاتفًا بذلك.

سأله (مراد) بك في ترقُّب:

- هل اقتنع؟!

أجاب (كامل) في سرعة:

- بكلِّ تأكيد، تعلم أنّني ممثل بارع، أستطيع حبك الأمور، ولو قام بنفس الأمر شخص آخر، لضحك في منتصف الحديث و أفسد الأمر برمته.

زفر (مراد) بك في ارتياح وهو يناوله رزمةً من النقود قائلًا:

- أحسنت.

تناول (كامل) رزمة النقود وبدأ بعدِّها وقد غمرته السعادة لينظر بعدها للرجل ويسأله:

- ولكن قل لي! من أين عرفت كلّ هذه المعلومات عن الشاب؟!

أجاب (مراد) بك:

- وهل تظنني مجنونًا حتّى أترك ابنتي الوحيدة دون رقابة، لقد كنت أراقب هاتفها طوال الوقت أثناء مكالمتها مع ذلك الشاب، بواسطة أحد برامج تسجيل المكالمات الموجودة بكثرة على المتاجر الإلكترونيّة، والذي كان مخفيًا بشكلٍ جيّدٍ فلم تتمكّن الفتاة من ملاحظته، أتعرف يا (كامل) إنّ مشكلة الشباب هذه الأيّام أنّهم أصبحوا كثيري الثرثرة، لقد حكى لها الشاب عن أدق تفاصيل حياته طوال المدة التي تحدّثا فيها معًا، لذلك فبسماعي لهذه المكالمات كنت أعرف كلّ شيءٍ عنه كما يعرف هو نفسه، وعلمت أيضًا من المكالمات أنّ الفتى مولعٌ بأفلام (الخيال العلمي)، وساذجٌ نوعًا ما، لذلك أعددت الخطة ونجحت، وساعدني على نجاحها أيضًا حالة السكر التي كان فيها الشاب، كنت أريد أن يبتعد عنها بإرادته حتّى لا تلقي باللوم عليّ مدى الحياة أو يُنفِّذا خطة مجنونة، تشين اسمي وسمعتي بين الناس.

ردّ (كامل) مُؤكِّدًا وهو يخرج من السيارة مغلقًا بابها خلفه:

- وقد نجحت!

تابعه (مراد) بنظره وهو يتّجه نحو أصدقائه لاستكمال اللعب مرّةً أخرى، و ابتسم في خبثٍ وقال:

- بالتأكيد نجحت.

وأردف بابتسامةٍ أكثر اتّساعًا:

- وبخدعة بسيطة وساذجة للغاية.

دار الأيتام

أين عيناي؟

أين قدماي؟

لَمَ هذا المكان..

بارد ومظلم هنا؟

(مقطع من أغنية "من قتلني")

****

- الأغبياء! يقتلنا الملل من قلة العمل هنا وما زالوا يرسلون إلينا الموظفات.

قالتها (المديرة) في ضجر وهي تتطلّع إلى (زينب)، الحسناء الشابة ذات الإحدى والعشرين عامًا، التي قد تمّ تعيينها في مسابقةٍ خاصّةٍ أجرتها (القوى العاملة) في هذه الدار المخصصة للأيتام في أحد أحياء (مدينة نصر).

تفحّصت (زينب) مديرتها في سرعة، والتي كانت في الأربعين من عمرها، غطت وجهها كمية كبيرة من الأصباغ جعلت وجهها يبدو كالمهرجين، وقد ارتدت معطفًا رسميًّا ضيقًا، فشل في أن يحتوي جسدها المترهل البدين قبل أن تُعقِّب على ما قالته مديرتها مداعبة:

- هكذا هي القوى العاملة دائمًا.. ترسل الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب، لقد كان من المفروض أن توزعني إقليميًّا في قريتي بـ(الفيوم)، ولكن للأسف.. من الواضح أنّ ملاجئها هناك مكتظة بالموظفات، لذلك أرسلتني إلى

هنا، ولكن لا تشغلي بالك كثيرًا، أنا لن أشغل في المكان أكثر ممّا تشغله طفلة رضيعة، وبالمناسبة لقد أحضرت أغطيتي معي فلا تشغلي بالك بشيء.

ردت (المديرة) في تذمُّرٍ وضيقٍ وقد بدا أنّ دعابة الأخيرة لم تَرُقها:

- القواعد هنا صعبة وصارمة ولا مجال للمزاح فيها، أولى مهامنا هنا هي الأطفال، إن لم تكن مهمتنا الوحيدة، أيّ شيء سيصيبهم ستكونين مسئولة عنه، صحيح أنّ أغلبهم ليس لديه عائلات أو مجهول النسب، ولكن إن عطس طفل هنا وعلمت منظمة حقوق الطفل بذلك فستطردنا بدون أدنى تفكير إلى الشارع وتستبدل بنا آخرين.

هزّت (زينب) رأسها في تفهُّم في حين استطردت الأخرى:

- المكان هنا به خمس فتيات، وهو عدد قليل نسبيًّا إذا ما قورن بالدور الأخرى، التي تحتوي على العشرات لذلك فمهمتنا هنا بسيطة، وهي الحفاظ على النظام في المكان، مبنانا كما لاحظتِ مُكوّنٌ من طابقين، الأول يحتوي على مكتبي هذا، ومكتبة للأطفال وغرفة الإشراف، بالإضافة إلى غرفة الطعام والمطبخ، أمّا الطابق العلوي فيحتوي على غرفتك وعلى عنابر نوم الأطفال التي لا يعمل فيها إلّا عنبر واحد لأنّه كما تعلمين، (السيزون) سيئ للغاية.

ابتسمت (زينب) وقد تفاجأت بامتلاك تلك المتعجرفة حسّ الدعابة وقالت:

- أنا ممتنة جدًّا يا سيّدتي لوجودي هنا والعمل تحت إشر افك، سوف أبذل أقصى ما في وسعي لإسعاد الأطفال.

هزّت (المديرة) رأسها في نرجسيّة وأشارت بيدها نحو الباب دلالةً على انتهاء الحديث، فهزّت (زينب) رأسها مُودِّعة، وهي تشعر بالحرج و انصرفت مُتوجِّهةً

إلى غرفتها الكائنة في الدور العلوي تمهيدًا لرص متاعها، وهي تشعر بشعورين متناقضين، التفاؤل والفرح بسبب وجودها مع مجموعة من البراعم في مكانٍ واحد، والقلق والخوف من تلك المديرة المتعجرفة التي تشعر بأنّ الأيّام المقبلة معها ستكون شديدة الصعوبة، وكانت محقّة.

*****

كانت الغرفة التي خصصت لمبيت (زينب) تشبه زنزانة انفرادية في سجن خلت إلّا من سريرٍ قديمٍ متهالكٍ ودولابٍ من دلفتين، لم يبق منهما إلّا دلفة واحدة في مكانها والأخرى تتّكئ على الحائط بعد أن فشلت في البقاء في مكانها المعتاد، بالإضافة إلى (تلفاز) صغير الحجم جرّبت (زينب) تشغيله فوجدته مُعطّلًا وقد أصبح كديكور أكثر منه وسيلة لقتل الملل.

همست لنفسها في ضيق:

- لا تيأسي يا (زينب) أنتِ جئتِ إلى هنا من أجل الأطفال وليس لمشاهدة التلفاز.

بعدها فتحت حقيبتها الجلديّة الكبيرة وبدأت في إخراج ملابسها منها لترصّها في عناية داخل الدولاب تمهيدًا لارتداء إحدى مناماتها للخلود للنوم بعد رحلة مرهقة من بلدتها بـ(الفيوم) و..

- هل أنتِ المشرفة الجديدة؟!

أفزعت (زينب) تلك العبارة المفاجئة الصادرة من خلفها، واستدارت على عقبيها نحو مصدر الصوت فوجدتها طفلةً صغيرةً في عمر سبعة الأعوام، آية في الجمال، ذات شعر ذهبي متناثر وعينين زرقاوين تشعر أنّ صاحبتهما فتاة ذات أصل أوربّيّ وليس من (مصر) إطلاقًا، ابتسمت (زينب) في اتّجاهها وقالت:

- تعالي يا حلوتي.. ما اسمك؟!

تردّدت الفتاة الصغيرة قليلًا، ثُمّ تقدّمت نحو (زينب) في خطوات بطيئة نسبيًا وهي ترتدي منامة ازدانت بالرسوم الطفوليّة وأجابت:

- روح.

- اسم جميل يا (روح)، أنا صديقتكم الجديدة ناديني بـ(زينب).

ابتسمت (روح) ابتسامة شاحبة تقلّص بعدها وجهها في قلق، وهي تشير إلى أذن (زينب) فانحنت لها في ترقُّب في حين همست الطفلة وهي تتطلّع حولها:

- لأنّك صديقتي سأخبرك بسر.

هزّت (زينب) رأسها، في حين قالت الطفلة وهي ترتعد:

- أنا أكره المديرة.

- لماذا؟!

أجابت الطفلة في خوف:

- لأنّها تأكل الأطفال.

*****

سبع ساعات نوم قضتها (زينب) في هدوء بدون أحلام أو كوابيس من أيّ نوع، وفي الصباح استيقظت متحمسة للبدء في أولى مهامها الوظيفيّة الفعلية، بعد أن كانت قد وعدت الطفلة البارحة بأنّها ستبحث في موضوع المديرة كنوع من (الضحك على عقول الأطفال) رغم عدم اقتناعها بكلام الصغيرة الطفوليّ، المثير للضحك، وحتّى تكسب حب الصغيرة وتتقرّب إليها قامت بإعطائها بعض الحلوى.

ارتدت ملابسها في عجالة، وتوجّهت إلى الدور الأرضي لتناول طعام الإفطار أوّلًا، لأنّها حقيقةً لم تكن قد ذاقت أيّ طعامٍ منذ خروجها من منزلها حتّى الآن، كان المطعم يحتوي على منصة كبيرة مرتفعة نوعًا ما عن باقي المكان، استنتجت منها أنّ هذا المكان يستخدم كمكان لإقامة الاجتماعات في بعض الأحيان، بالإضافة إلى بعض الطاولات القليلة نسبيًّا الموجودة بداخله، كانت (المديرة) وبعض العاملات قد جلسن إلى إحدى الطاولات لتناول طعام الإفطار فتوجّهت (زينب) نحوهن وجلست وهي تقول في كياسة:

- صباح الخير سيادة المديرة.

هزّت (المديرة) رأسها مُحيّيةً في صمت، وقد انهمكت في تناول الإفطار في حين جلس على الطاولة موظفتان أخريان، كانت إحداهما في مثل عمرها قمحيّة اللون ذات عينين سوداوين كلون الليل البهيم، عرفت (زينب) أنّ اسمها (تهاني)، وهي موظفة إداريّة، والأخرى في مثل سن المديرة وإن بدت من عباءتها السوداء وملامح وجهها أنّها الأكثر فقرًا في هذا المكان واسمها (جملات)، وهي المسئولة عن الطبخ هنا ونظافة المطعم بالإضافة إلى عنابر الأطفال، والتي علمت أنّ فترة عملها تنتهي عصر كلّ يومٍ وتغادر بعدها إلى منزلها لرعاية أسرتها..

ابتسمت (زينب) نحوهن ثُمّ خاطبت (المديرة) قائلة:

- من هي الأخصائيّة الاجتماعيّة في هذا المكان؟!

ردّت المديرة وهي تلوك بعض الطعام في فمها:

- لا يوجد هنا مثل هذا التخصص ولم نحتجه من قبل لأنّ الأطفال هنا سعداء، ولكن إن أردتِ التطوُّع لمثل هذه المهمة فأنا موافقة، وأعتقد أنّ تخصصك (علم نفس)، لذا فإنّ تلك الأمور لن تكون صعبة عليكِ.

أومأت (زينب) برأسها ممتنة وقالت في حماس مُوجّهة كلامها للمديرة:

- أعتقد أنّني سأبدأ فعليًّا من اليوم في هذا الموضوع، وستكون أولى مهامي تلك الفتاة الصغيرة (روح)، لأنّي أشك في أنّها تعاني بعض الهواجس والاضطرابات النفسية.

انتفض جسد (المديرة) في عنفٍ عند سماعها اسم الأخيرة، وتبادلت نظرةً قلقةً مع (تهاني) و(جملات) وهتفت في ذعر:

- هل قابلتِها؟!

- نعم.. وما في ذلك؟!

ردّت (المديرة) وهي ما زالت تحتفظ بنفس نبرة الذعر:

- لأنّ تلك الفتاة بالأخص لها وضع خاص، كلهم يقولون أنّهم قابلوها وتحدّثت معهم ويتّفقون في وصفها، بالرغم من أنّي واثقة تمام الثقة أنّه لا توجد فتاة بذلك الاسم وتلك المواصفات في هذا المكان إطلاقًا.

غمغمت (زينب) في استغراب:

- ماذا تقصدين؟!

أجابت (المديرة) وهي تشيح بوجهها ممتعضة:

- أنتِ فهمتِ ما أشير إليه.. إنّ تلك الطفلة التي قابلتِها البارحة.. شبح!

وكان الجواب صادمًا للغاية..

هكذا حكت (المديرة) على غير العادة كلّ ما يتعلّق بتلك الفتاة الشبح لـ(زينب)، تقول أنّ الأمر بدأ منذ شهرين تحديدًا، عندما بدأ الأطفال يهمهمون حول وجود فتاة جديدة ورقيقة تلعب بينهم تدعى (روح)، بعدها بدأت (جملات) و(تهاني) في التحدُّث حول تلك الفتاة، قالتا أنّها تظهر وتختفي بشكل متقطع، وأحيانًا تخوض في حديثٍ طويلٍ معهما. "طبعًا كان من المستحيل أن أخبر الأطفال حقيقة الأمر، إنّهم يقولون أنّ الفتاة تنام على أسِرّتهم أحيانًا، لو أخبرتهم بذلك، لتخشّبت أطر افهم وجفّت الدماء في أوردتهم رعبًا".

سألتها (زينب):

- أشاهدتِها؟!

هزّت (المديرة) رأسها وقالت:

- الحقيقة أنّني لم أشاهدها إطلاقًا، ولكنّي أُصدِّق الأمر بالتأكيد، لا يمكن أن يكون كلّ هؤلاء مجانين و أنا الوحيدة العاقلة.

قالت (زينب) في حيرة:

- وما الحلّ؟!

ردّت (المديرة) في هدوء:

- الحل هو ألّا تُصغي إلى تلك الفتاة إطلاقًا.

ثُمّ أردفت في هدوء أكبر:

- وإن أُجبرتِ على التحدُّث إليها، فلا تُصدِّقيها.

****

انشغلت (زينب) في غرفة المكتبة بالتعارف على الأطفال الموجودين بالمكان، كانوا ثلاث فتيات وصبيين، أكبرهم سنًا في العاشرة من العمر وهو ما حاز على استغرابها لأنّه عادةً الدور من هذا النوع تحتوي على كافة الفئات العمرية دون السابعة عشرة، ولكنّها عولت الأمر إلى كون هذا المكان حديث الإنشاء لذلك فمن المعتاد أن لا تجد فيه مراهقين يدنون من سن الشباب.

جذبت إحدى الفتيات (زينب) من كم قميصها الذي ترتديه فانتبهت لها وسألتها باسمة:

- ماذا بكِ يا حبيبتي؟!

أشارت الفتاة الصغيرة إلى أحد الصبية وكان في سن السابعة ببشرة سمراء وشعر قصير مائل للخشونة وقالت في طفوليّة:

- (معاذ) يبكي طوال الليل!

نظرت (زينب) إلى (معاذ) الذي قلب شفتيه وقد ظهرت على وجهه ملامح الحزن واضحةً جليّةً وسألته:

- ما الذي يبكيك يا صغيري؟!

تردّد الطفل في الإجابة، و ابتلع ريقه مُخرجًا دفتر رسمٍ من حقيبته الصغيرة وقال بصوتٍ مُتقطِّع:

- (روح).. أتلفت كراستي ورسمت فيها.

ارتجفت (زينب) عند سماع اسم الأخيرة وإن حاولت أن تتظاهر بالعكس، والتقطت الدفتر من الصبي متطلعة للصورة التي رسمتها (روح) ونظرت للصبي مرّة أخرى وسألته في توجُّس:

- و أين هي (روح) الآن؟!

أجاب الطفل في براءةٍ وبنفس نبرة الصوت الباكية:

- إنّها لا تأتي إلّا ليلًا.. تقول أنّ ضوء الشمس يؤذيها.. لذلك تنام طوال النهار.

*****

لم تستطع (زينب) النوم في تلك الليلة، شيء ما يخبرها أنّ تلك الفتاة وراءها سر ما، هي لم تكن تؤمن بالأشباح فيما مضى بالرغم من نشأتها الريفيّة وكانت ترى أنّ قصص الجن والعفاريت مجرّد حكايات نسجها الخيال الخصب للعجائز المخرفين، ولكنّها الآن تعلم أنّ ما يمر به هذا المكان هو ظاهرة غامضة خارقة للطبيعة والعادة.

نهضت من فوق سريرها و اتّجهت إلى النافذة وفتحتها طلبًا لبعض الهواء النقي الذي قد يُبدِّد أفكارها وهواجسها، وأخذت تتابع بعينيها السيارات التي تمر بين الحين والآخر، فلفت انتباهها سيارة توقّفت أمام بوابة المكان على غير العادة، واستطاعت بسهولة أن تُميِّز (المديرة) التي خرجت منها وبصحبتها طفل جديد يبدو أنّه قد عهد به إليها للعيش في كنف الدار، وارتسمت ابتسامة سعيدة على وجهها وقد بدا لها أنّ (السيزون) قد بدأ على حد قول المديرة، وأنّ الخير قد جاء على وجهها، وشعرت أنّه قريبًا جدًّا سيمتلئ هذا المكان بالأطفال الذين سينشرون الضحكات والبهجة داخل أرجائه.

ألقت (زينب) نظرةً سريعةً أخرى إلى الشارع.. استدارت عقبها للخلف و انتفض قلبها من شدّة الرعب وهي تشاهد تلك الرسومات التي ملأت الحائط والتي

تطابقت مع الرسوم التي رأتها في دفتر الطفل (معاذ) هذا الصباح، والتي تحمل توقيعًا طفوليًّا أسفلها..

توقيع (روح)..

*****

صباح اليوم التالي..

جلست (زينب) إلى مائدة الإفطار وكانت (المديرة) جالسة إليها كالعادة وبصحبتها رفيقاتها الموظفات، وإن بدت شاردةً في ذلك الوقت، تعبث في محتويات أطباقها دون أن تتناول شيئًا.

قطعت (زينب) شرود المديرة وقالت في مرح:

- أظن أنّه يجب أن تدعي لي لقدومي إلى هذا المكان؛ لأنّ (السيزون) على وجهي قد بدأ بذلك الطفل الذي أتيتِ به بالأمس.

انتزعت عبارتها المديرة من شرودها والتي همست مستفهمة:

- أيّ طفل؟!

ردّت (زينب) وهي تغمز بعينها للمديرة في طفوليّة:

- الطفل الذي دخلتِ به مساء الأمس! هل نسيتِ أمر الطفل بالفعل؟! أم أنّكِ تخافين من الحسد!

لم ترق الدعابة للمديرة وردّت في برود:

- لا هذا ولا ذاك، لأنّي لم أخرج من المكان البارحة إطلاقًا، ربّما كنتِ تحلمين يا (آنسة)، أحيانًا يخلط المرء ما بين الأحلام والواقع، أذكر أنّني في حلمٍ قديم

ضاعت مني مائة جنيه وعندما استيقظت ظللت طوال أسبوع حزينة على تلك المائة رغم أنّي لم أمتلكها قطّ.

هتفت (زينب) محتجّة:

- ولكنّني و اثقة أنّه لم يكن حلمًا!

ردّت (المديرة) في تحدٍّ:

- ما الذي تقصدينه؟! هل ابتلعت الطفل في معدتي؟! ثُمّ إنّ الأمور هنا تتمّ بشكلٍ رسميّ، لا دخول لطفل هنا أو خروج إلّا بأوراقٍ رسميّةٍ وتدوينٍ في الدفاتر، وهي في مكتبي لا أبخل بها على أحد، فلتطالعيها إذا أردتِ.

تدخّلت (تهاني) محاولةً الإصلاح:

- اعذريها يا سيادة (المديرة) فتغيُّر مكان النوم كثيرًا ما يسبب الكوابيس.

بترت (المديرة) حديث الأخيرة وقالت:

- وربما هي (روح).

تطلّعت (زينب) إليها وقالت في توتُّر:

- بمناسبة الأخيرة.. لقد اشتكى الأطفال من أنّها تعبث بحاجاتهم ودفاترهم، وبالأمس وجدت الحائط وقد ازدان برسومات طفوليّة كأنّها برزت من العدم، الأمر مقلق بحقّ، ويثير الأعصاب.

ردّت (المديرة):

- لا تشغلي شأنك بها كثيرًا.. كلنا عانى أكثر من ما تتحدّثين عنه، ولكنّه سرعان ما انتهى، إنّها تحب دومًا الاحتفال بالموظفات الجدد، وفي غضون فترة قليلة ستمل من مشاكستك، وستتركك في حال سبيلك.

قالت (زينب) في توتُّر:

- أتعشّم هذا، لأنّه إن لم يحدث، فسيصيبني الجنون حتمًا.

ثُمّ أردفت في شيءٍ من الرجاء:

- أستأذنك يا (سيادة) المديرة في راحة لمدّة نصف يوم، أحتاج للاطمئنان على والديّ بشدّة، ربّما تستطيع تلك الرحلة أن تُزيح عني جزءًا من التوتُّر الذي يتصبّب بداخلي.

ردّت (المديرة) في تفهُّم:

- حسنًا لكِ هذا.. إن كان هذا سيحل المشكلة فليس لدي مانع.

أجابت (زينب) في هدوء:

- أنا واثقة أنّ تلك العطلة ستحل الكثير من المشاكل.

ثُمّ أردفت في هدوء أكبر:

- هنا على الأقل.

*****

حين عادت (زينب) مساءً من عطلتها، كانت حالتها النفسيّة جيّدة للغاية، كما لو أنّ هذه العطلة قد غسلتها تمامًا من الداخل، دخلت المكان الذي لم يكن هناك أدنى أثر على وجود أحدٍ فيه، وأسرعت إلى غرفة (المديرة) لإبلاغها بوصولها فلم تجدها لا هي ولا الموظفات، تسارعت نبضات قلبها واتّجهت إلى عنبر الأطفال فتنفّست الصعداء حين وجدتهم نائمين.

هزّت أحدهم برفق فاستيقظ مُتثائبًا بوجهٍ ناعس، فسألته:

- أين ذهب الجميع؟!

هزّ رأسه بعدم المعرفة، ثُمّ عاد للنوم كما لو أنّه لم يستيقظ إطلاقًا، تركته واتّجهت إلى غرفتها في شرود، ودخلتها مرتميةً على سريرها وبدأت بالتفكير، هناك خطب ما يحدث، الأمر كما لو أنّه فيلم رعب، في كلّ لحظةٍ تمر تتعقّد الأمور أكثر وتتفجّر المفاجآت.

تطلّعت إلى الحائط الذي لم يكن قد مُسح بعد من آثار الرسومات التي رسمتها (روح) عليه، وغمغمت لنفسها في توتُّر:

- ما الذي تريدينه يا (روح)؟!

- ألم تفهمي بعد!

انتفضت (زينب) والتفتت في فزعٍ نحو مصدر الصوت، فشاهدت الفتاة وقد وقفت عند باب الغرفة مرتديةً هذه المرّة فستانًا أبيض اللون، تخضّب أغلبه بدماء قانية اللون، وتراجعت للخلف في خوف، فتقدّمت (روح) نحوها في خفّةٍ بدت منها كما لو أنّها لا تلامس الأرض ثُمّ همست في أذنها:

- ألا تريدين الفهم!

ارتجفت (زينب) واصطكت أسنانها بعضها ببعض، عندما وضعت (روح) رأس الأخيرة بين راحتيها، فبدأت مئات المشاهد تتدفّق داخل عقلها، وبدأت في فهم الحقيقة..

حقيقة الشبح..

******

- هل تعتقدين أنّها يمكن أن تُصدِّق ما تذكره (روح) لها؟

قالتها (تهاني) فنظرت لها (المديرة) وقد انهمكت في تقطيع بعض اللحم على منضدة داخل ذلك القبو الذي يقع أسفل المكان الذي تعملان فيه، وضحكت في سخريةٍ وهي تلوك قطعةً صغيرةً من اللحم (النيّئ) في تلذُّذ وقالت:

- بالطبع لا.. وحتّى إن صدّقتها فلا يهمّ، لأنّ المكان الذي نحن فيه مهم بالنسبة للوزارة وغير مثبت في خرائطها، لاحظي أنّ هذا المكان كان عقارًا أثريًّا في السابق يخص أحد الأشخاص، وقد تنازل عنه هذا الرجل وخصّصه لإنشاء دارٍ للأيتام، وبالصدفة أنا وأنتِ عثرنا عليه، لذلك فمن المستحيل أن تعثر الفتاة علينا.

ردّت (تهاني) في قلق:

- وماذا إن تزايدت شكوكها؟!

أجابت (المديرة):

- لا تقلقي، لن تصل الأمور إلى هذا الحد، لأنّي الآن أخطط لنقلها إلى دارٍ أخرى في محافظة (الفيوم)، ستفرح كثيرًا حين أبلغها بهذا في الغد، ولن تعلم أنّني بهذا النقل أنفيها، وأبعد نفسي عن المتاعب.

- ومن سينتظر حتّى الغد؟!

انتفضت المديرة فزعة، ممّا تسبّب في سقوط (الساطور) الكبير الذي تحمله أرضًا، وتطلّعت إلى (زينب) التي وقفت عند مدخل القبو الصغير فشكّلت سدًّا بشريًّا لمدخله وقالت:

- كيف توصّلتِ إلى هذا المكان؟!

أجابت (زينب) في سخرية:

- الشكوك هي ما أوصلتني إلى هنا، لقد كانت الأمور منذ البداية تحوم حولها كثيرًا من التساؤلات، الرسوم التي رسمتها الطفلة في دفتر الطفل وعلى الحائط والتي تظهر فتاةً مُقيّدةً على سرير وقد تقطّعت أطرافها، و إنكارك إحضار طفلٍ إلي المكان وزعمك أنّه حلم، مع ثقتي أنّ الأمر خلاف ذلك، وأخيرًا ظهور (روح) لي والتي جعلتني أشاهد رأي العين ما قد حدث معها، كلّ هذا أوصلني إلى هنا، أتأكلون لحوم الأطفال أيّها (الكفرة).. كيف.. ولماذا؟!

تبادلت كلٌّ من (تهاني) والمديرة النظرات في حين ردّت الأخيرة في أسى وقالت:

- بدأ الأمر يا بنيتي من قبل عملي في هذا المكان بسنواتٍ كثيرة، اكتشفت فيها أنّي توّاقة للحم البشريّ بشكلٍ لا يُصدّق، و أنا في المرحلة الإعدادية من تعليمي تشاجرت مع زميلة لي في المدرسة، ودفاعًا عن نفسي قمت بعضِّها في ذراعها اليمنى و انتزعت جزءًا من لحمها على أثر العضّة، لحظتها أحسست بنشوةٍ لا تُوصف وكأنّي وجدت غايتي التي بحثت عنها طويلًا، بالطبع أحسست بعد هذه النشوة بالندم، كعادة كلّ الأمور المحرمة، وخضعت للعديد من جلسات الطب النفسي الفاشلة، وعندما قامت الوزارة بتعييني كمديرة لهذا المكان، أحسست كأنّي وصلت أخيرًا إلى الجنة المنشودة، بالطبع لن أمس أطفال هذا المكان بسوء، لأنّه لو حدث ذلك فسأدخل في كثيرٍ من الاستجوابات التي أنا في غنى عنها، لذلك فكرت في أطفال الشوارع، الأطفال الذين ليس لديهم أحدٌ يسأل عنهم، اعتبريني لو أردتِ وسيلةً من وسائل حلِّ مشكلة أطفال الشوارع، وربّما وسيلة فعّالة أكثر من وسائل الحكومة نفسها، كانت (روح) هي البداية، طفلة

ضالة تبحث عن الطعام والمأوى من البرد، أقنعتها أنّني سأوفر لها كلّ هذه الأشياء، وببعض (الشيكولا) اللذيذة صحبتها إلى داخل المكان وفي نفس الليلة أنهيت الأمر، بعدها قمت بجلب بعض الأطفال الذين لا أذكر عددهم، والذين يرقد جزء منهم الآن داخل معدتي، والباقي في مجاري الصرف مع فضلات ملايين المصريين، وكان آخرهم الطفل (سليم) الذي شاهدتِه البارحة والذي لو تقدّمتِ ساعة واحدة لأمكنكِ نجدته، ولكن للأسف المصريين لا يصلون أبدًا في الوقت المناسب.

رمقتها (زينب) في غضبٍ وأشارت إلى (تهاني) قائلة:

- وهل هذه هي شريكتك، أم أنّك أجبرتها على مساعدتك؟!

نظرت (المديرة) إلى (تهاني) التي ترتعد وقالت:

- (تهاني) تعرفت عليها في أحد مو اقع التواصل الاجتماعي، كانت تعاني من نفس المشكلة، وببعض الوساطة والمحسوبيّة ودفع الرشاوي، قمت بتعيينها في هذا المكان، كنتُ في حاجة إلى شريكةٍ أثق فيها، وكانت (تهاني) شريكةً فعّالةً جدًّا، أستطيع أن أفضي إليها بكلّ شيءٍ دون أن أخشى من انكشاف أمري.

نظرت (زينب) إليها نظرة ازدراء فأردفت المديرة:

- يمكنك أن تنضمي إلينا يا صغيرتي، الأمر ليس بهذا السوء، قضمة واحدة وتستسيغين الأمر.

صاحت (زينب) في حدّة:

- أستسيغ ماذا أيّها الحمقى! أأستسيغ ما حرمه الله في جميع أديانه، أنا سأعمل على أن تنالكما يد العدالة جزاء ما اقترفتما في حقِّ هؤلاء الأبرياء.

ضحكت (المديرة) في سخريةٍ وقالت:

- ومن سيتركك تفعلين ذلك يا صغيرتي، أنتِ الآن في إجازة حسب ما هو مكتوب في الدفاتر لدينا، ولا يوجد ثمة دليل على وجودك في هذا المكان، لذلك فبقتلك لن تشير إلينا يد العدالة بأيّ اتّهام، بل وسأبحث معهم عن اختفائك.

انفجرت (زينب) ضاحكةً وقالت في سخرية:

- أبهذه البساطة!

وضغطت على زر في جوالها فانفتح مكبر الصوت وأردفت قائلة:

- أظن الآن يا سيادة اللواء، أنّ الأمور أصبحت واضحة بالنسبة لك، و أنّني لست مجنونة كما ظننت، وإن لم تخب توقُّعاتي فأظن أنّ رجالك في غضون دقيقة على الأكثر سيكونون بالداخل.

ثُمّ نظرت إلى (المديرة) وقالت في ابتسامةٍ شامتة:

- أظن أنّ السجن سيكون الطريق الأسهل لعلاجك أيّتها الحقيرة، لا يوجد لحوم أطفال داخل السجن أيّتها المبجّلة، بل تهذيب وإصلاح، وطعام عادي نوعًا ما أعتقد أنّك ستستمتعين به مع مرور الوقت.

همست (المديرة) في حيرة:

- ولكن كيف؟!

أجابت (زينب):

- الحقيقة أنّني لم أذهب لزيارة والديّ إطلاقًا أثناء العطلة، بل ذهبت لزيارةٍ صغيرةٍ لمديريّة الأمن، والتي لم تُصدِّق الموضوع في البداية وظنّت أنّه محض تخاريف، ولكنّها بعد كثير من التخطيط وبالاتّفاق مع (مدير الأمن)، وضعنا

الخطة، والآن حديثنا الذي تحدّثناه معًا سيكون ضمن أحراز القضيّة ولن يكون هناك ثغرة واحدة تضمن خروجك منها.

هتفت (تهاني) في فزع:

- أنا لستُ معها، هي التي أغوتني، وأجبرتني على فعل ذلك.

ردّت (زينب):

- هكذا يقول الكافر عن الشيطان، وكلاهما مذنب، وسيُخلّدان في نار الله وجحيمه، أمّا أنتما فسينتظركما بالإضافة إلى عقاب الله المؤكّد في الآخرة، عقاب آخر في الدنيا جزاء ظلمكما وقتلكما لهؤلاء الأبرياء.

ارتجفت المرأتان، وسقط قلباهما في أقدامهما، وهما تشاهدان رجال الشرطة المدججين بالسلاح، وقد دخلوا المكان لإلقاء القبض عليهما، فتابعتهما (زينب) بنظرها وهي تشاهدهما يُقتادان إلى عربة الشرطة، في حين انحنت والتقطت ورقة صغيرة طارت من النافذة إلى أسفل قدميها وقرأتها لتبتسم في رضا، فقد كانت بخطٍّ طفوليٍّ للغاية وتحمل كلمة "شكرًا"..

بتوقيع (سليم) و(روح).

للتواصل مع الكاتب

Hossnimahamed92@gmail.com

https://www.facebook.com/hossni.mahamed.5

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

www.facebook.com/arabiclibrary2017

الموقع الخاص بالمكتبة العربية للنشر و التوزيع على الإنترنت

http://arabiclibrary2017.site123.me

الفهرس

الإهداء	٥
شكر خاص	٧
فيرونيكا	١١
الغزو	٢١
رسائل	٢٥
انتقام	٣١
ذكريات	٣٧
تأثير الفراشة	٤٣
قصص لم يكتبها بو	٤٩
الهروب	٥٧
عالم الموت	٦٣
المهمة	٧١
المكالمة	٧٥
المخلوق	٨١
نصيحة	٨٧
عقد عمل	٩٣
السفاح	٩٧
الموتى الزاحفون	١,٣
الشقة رقم ١٣	١١١

العينة المختارة ١١٩
رجل الحانة ١٢٧
دار الأيتام ١٣٧
للتواصل ١٥٥
رسالتنا ١٥٦
الفهرس ١٥٧